مجلة الهدى

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الثانية عشر / العدد الثامن والأربعون / لسنة ١٤٤٣هـ

مركز الهدى للدراسات الحوزوية

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكريّةٌ تنشطُ في ميدانِ البحثِ والمساهمةِ في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدّراسات الفكريّة والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدّسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدّخيل.

مجلة الهدى

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة الثانية عشر / العدد الثامن والأربعون / لسنة ١٤٤٣ هـ

الإشراف العام
محمد صادق الهاشمي

رئيس التحرير
أ. عباس النوري

التنسيق والمتابعة
محمد حميد الهاشمي
عصام الساعدي

معد الترجمة الفارسية
حسن علي مطر

هيئة التحرير

- أ. سمير العطواني
- أ. هادي بدر الكعبي
- أ. ضياء كاظم الهاشمي
- أ. عمار الولائي
- أ. حيدر آل وشاح
- أ. إبراهيم الأسدي
- أ. منى عبد الرحمن

الهيئة الاستشارية

- السيد يوسف الحلو
  - أستاذ حوزة النجف الأشرف
- السيد جابر الموسوي
  - أستاذ في الحوزة العلمية
- الشيخ حسين السعيدي
  - أستاذ في الحوزة العلمية
- الدكتور أسامة السعيدي
  - جامعة النهرين
- الدكتور علي عبد الأمير
  - جامعة بغداد
- الدكتور سمير الأسدي
  - جامعة بابل
- الدكتور علي فياض
  - جامعة طهران

الإخراج الفني
أحمد الهاشمي
Ahmad Al-Hashemi

مجلة الهدى

العدد: الثامن والأربعون / السنة الثانية عشر/ ١٤٤٣هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ١٧ × ٢٤ سم

عدد الصفحات: ١٧٠ صفحة

التصميم والاخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠٢١ م ـ ١٤٤٣ هـ

- البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبّر عن رأي كاتبها.
- ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنيَّة

هَوِيَّةُ المَجَلَّة:

مجلَّة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشـــؤون الحوزوية والمعرفة الدينيـــة، تصدرُ عن مركز الهدى للدراســـات الحوزوية، تعنى بالفكر الإســـلاميِّ المســـتنير وما يتَّصل به من المجالاتِ والتخصُّصات، في الشـــريعةِ والتأريخِ والقانونِ والفلســـفةِ وعلم الـــكلام الجديدِ والعلوم الإنسانيَّة المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

شُرُوطُ الكِتَابَة:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ ـ ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضَّـــد البحثُ على قرصٍ مدمـــجٍ (CD)، أما التصحيحُ اللغويُّ فتتكفَّل به المجلَّة.
٣. يجب أن لا تكون البحوثُ منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهَّد الكاتب بعدم نشـــره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلســـلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتّاب الإعتراضُ على تأخير نشر المادَّة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبل البحوثُ والدراساتُ المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفةُ فتهمل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلَّة ليســـت ملزمةً بإرجاع الموادِّ إلى أصحابها، سواءٌ نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

المحتويات

٧ محور العدد: النهضة الحسينية وزيارة الأربعين

٩ فاجعة الطف ردود الفعل المباشرة لعامة الناس وجمهورهم
آية الله محمد سعيد الحكيم دام ظله

٣١ الأبعاد السياسية والاجتماعية لزيارة الأربعين
الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني

٣٩ النهضة الحسينية أسس قيامها ودورها في التصحيح
الشيخ عبد الله موسى

٥٥ الأربعين الحسيني أصالة الشعيرة وعظمة المعطيات
قراءة في الجذور الحديثية والتاريخية
الشيخ عز الدين الكاظمي

٦٩ الروايات التاريخية في ثبوت الأربعين
السيد أسامة عابدة

٨٧ العقل ودوره في صيانة النهضة الحسينية
وتكريس قابلية التكرار والمحاكاة
محمد منصور نجاد

١١٥ المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة عليهم السلام
دراسة في الموازين الفقهية
الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

١٤٣ سياسة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الإرهاب الحكومي
الشيخ قيصر التميمي

محور العدد:

النهضة الحسينية وزيارة الأربعين

فَاجِعَةُ الطَّفِ

رُدُودُ الفِعْلِ المُبَاشِرَةِ لِعَامَّةِ النَّاسِ وَجُمْهُورِهِمْ

❖ آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله (١)

(١) من كتاب فاجعة الطف للمرجع السيد محمد سعيد الحكيم.

إنّ الناظر في تاريخ الواقعة وما قارنها يرى أنّ الغشم والعنف، والترهيب والترغيب كانت هي الدافع لتنفيذ هذه الجريمة العظمى، مع كثير من التململ والضيق، والصراع النفسي والتفاعل العاطفي مع الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام حتى من بعض القائمين به؛ لوضوح رفعة مقام أهل البيت عليهم السلام، ولحصول كثير من الجرائم البشعة والممارسات الصارخة المثيرة للعاطفة حتى من قبل الأعداء.

حتى إذا انتهت الجريمة وتمّ للسلطة ما أرادت رجع الناس إلى واقعهم، وعرفوا فداحة المصاب، وشدّة الجريمة، وهول ما فعلوا.

فإنّ من المعلوم:

أوّلاً: إنّ السلطة تعاملت مع الإمام الحسين عليه السلام على أنّه خارج عن الشرعيّة، وشاقّ للعصا، وملقّح للفتنة، ومستحقّ للقتل والتنكيل.

بل تعاملت مع نهضته المباركة تعاملها مع الردّة سلباً وسبياً وتشهيراً، وبمنتهى الوحشية، بمثل قطع الرؤوس، ورضّ الأجساد، والسبّ والشتم، والشماتة والتشفي، وغير ذلك.

وثانياً: إنّ السلطة كانت في أوج قوّتها وشراستها في التنكيل بمَنْ يخالفها أو يخرج عن مسارها أو يعترض عليها؛ ولذا ردّت في السنة الثالثة على أهل المدينة في واقعة الحرّة أبشع ردّ، وانتهكت حرمتهم أشنع انتهاك، ولم تتورّع في السنة الرابعة عن الردّ على عبد الله بن الزبير بانتهاك حرمة الحرم، وبضرب مكّة المكرّمة والكعبة المعظمة بالمنجنيق.

وكان نصيب الكوفة - التي هي

علوية الهوى - من العمّال عبيد الله بن زياد الغليظ القاسي الجبّار الشرس الذي قام بنفسه بتلك الجريمة الكبرى بتبجّح واستهتار، واستطاع أن يُرغم الكوفيين على تنفيذه.

كما كان نصيب المدينة المنوّرة التي - هي موطن أهل البيت عليهم السلام - عمرو بن سعيد الأشدق جبّار بني أُميّة[1]، والشامت بقتل الإمام الحسين عليه السلام، كما سبق ويأتي[2].

وكان المفروض مع هذين الأمرين أن تُكمّ الأفواه، وتُكتم العواطف إزاء الفاجعة، كما عشنا ذلك مع مآسي العراق الكثيرة وفجائعه الفادحة في العهد الطويل للطغيان والجبروت والدكتاتورية الغاشمة.

بل يفترض أن تقام مظاهر الفرح والزينة بالانتصار الكاسح والفتح العظيم للسلطة في هذين المصرين، كما أُقيمت في الشام المعزولة عن عامّة المسلمين ثقافياً والتي لا تعرف عن أهل البيت عليهم السلام إلّا ما عرّفها الأمويون.

إلاّ إنّه يبدو أنّ هول الفاجعة - بأبعادها السابقة - وشدّة وقعها في النفوس أفقد الناس السيطرة على عواطفهم وكبح جماحها، بحيث اضطرت السلطة أن تقف مكتوفة اليد أمام ذلك.

إنكار بعض الصحابة على يزيد وابن زياد

ولا نعني بذلك الإنكارات الشخصية من بعض الصحابة على عبيد الله بن زياد وعلى يزيد حينما أخذا ينكتان رأس الإمام الحسين عليه السلام بالقضيب تشفياً منه، كزيد بن أرقم[3] وأبي برزة الأسلمي[4] وأنس بن مالك[5]؛ إذ ربما كانوا يشعرون ببعض الحصانة لمركزهم الاجتماعي، ولأنّ الدولة كانت تتجمّل بهم، فلا تقدم على قتلهم بعد أن لم يكن لإنكارهم مظهر على الصعيد العام.

بل اقتصرت على الإنكار عليهم أو على بعضهم بشدة، كقول عبيد الله بن زياد لزيد بن أرقم: «أبكى الله عينيك! فو الله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك»[6]، وأمر يزيد

بإخراج أبي برزة الأسلمي سحباً[٧].

إنكار يحيى بن الحكم

ولا نعني أيضاً مثل إنكار يحيى بن الحكم، حيث قال حين أُدخل الرأس الشريف إلى مجلس يزيد:

لهامٌ بجنبِ الطفّ أدنى قرابة
من ابنِ زيادِ العبدِ ذي الحسبِ الوغلِ
سميةَ أمسى نسلها عددَ الحصى
وليسَ لآلِ المصطفى اليومَ من نسلِ

ولا قوله لمَنْ جاء بالرؤوس والسبايا للشام: حُجبتم عن محمد يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً. ثمّ قام فانصرف[٨].

فإنّه أيضاً كان يتمتّع بحصانة النسب الأموي، ولم يكن لإنكاره مظهر على الصعيد العام.

إنكار ابن عفيف الأزدي على ابن زياد في مسجد الكوفة

كما لا نعني إنكار عبد الله بن عفيف الأزدي على ابن زياد حينما جمع الناس في مسجد الكوفة، وخطبهم فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب بن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته.

حيث وثب إليه عبد الله بن عفيف - وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام، والأُخرى بصفين معه عليه السلام أيضاً - فقال: يابن مرجانة، إنّ الكذّاب بن الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولاّك وأبوه. يابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين وتكلّمون بكلام الصدّيقين؟![٩].

فقال ابن زياد: مَنْ المتكلّم؟ فقال: أنا المتكلّم يا عدوّ الله! أتقتل الذريّة الطاهرة الذين قد أذهب الله عنهم الرجس في كتابه، وتزعم أنّك على دين الإسلام؟! وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار؛ لينتقموا من هذا الطاغية اللعين بن اللعين على لسان رسول الله ربّ العالمين؟[١٠].

فإنّ إنكار هذا العبد الصالح وإن كان مهمّاً جداً؛ لأنّه على ملأ من

الناس، وبلهجة شديدة، إلّا إنّه شخص واحد مستميت، وقد قُتل فعلاً، وصُلب[١١] بعد معركة طويلة قتل فيها جماعة[١٢]. شكر الله سعيه ورضي عنه وأرضاه.

إنكار امرأة من آل بكر بن وائل

ومثله ما روي من أنّ امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها في المعركة، فلمّا نظرت العسكر يسلب العائلة الكريمة أخذت سيفاً، وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل! أتُسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله! لا حكم إلّا الله. يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله، فردّها زوجها إلى رحله[١٣].

فإنّها امرأة واحدة انهارت لهول ما رأت، وكذا غيرها ممّن أنكر بصورة فردية من دون أن يكون لإنكاره ظهور على الصعيد العام.

وإنّما نعني عامّة الناس في المصرين المدينة المنوّرة والكوفة؛ لأنّهما اللذان يتيسّر لنا الاطلاع تاريخياً على موقف الناس فيهم.

موقف جمهور أهل الكوفة

فقد استقبل الكوفيون العائلة الكريمة - التي عوملت معاملة الكفّار في السلب والأسر والتشهير - بالبكاء والصراخ، والنوح والتوجّع، والتفجّع والتأسّف[١٤]، وقد شقّت النساء جيوبهنَّ على الإمام الحسين عليه السلام والتَدَمنَ[١٥].

وعن حاجب ابن زياد أنّه قال: ثمّ أُمر بعلي بن الحسين عليه السلام فُغلَّ، وحُمل مع النسوة والسبايا إلى السجن وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلّا وجدناه مُلئ رجالاً ونساءً يضربون وجوههم ويبكون، فحُبسوا في سجن وطُبق عليهم[١٦].

كما ورد أنّه بعد أن خطبت أُمّ كلثوم عليها السلام ضجّ الناس بالبكاء والنوح، ونشر النساء شعورهنَّ، وخمشنَ وجوههنَّ، وضربنَ خدودهنَّ، ودعونَ بالويل والثبور، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم، فلم يُرَ باكٍ وباكية أكثر من ذلك اليوم[١٧].

ولولا حصول الجوّ المناسب والأرضية الصالحة لما تيسّر لها ولا لغيرها من أفراد العائلة الكريمة الخطبة

في الناس بعد أن أُدخلوا إلى الكوفة أسرى يُراد التشهير بهم وتوهينهم.

على أنّه يبدو من بعض خُطب أهل البيت عليهم السلام في الكوفة أنّ السلطة قد سبقت ركب الأسرى من العائلة الثاكلة ببعض مظاهر التبجّح بالواقعة؛ في محاولة منها للتشهير بها، وإظهار السرور على الصعيد العام بما أوقعته بها.

فقد ورد في خطبة فاطمة الصغرى في الكوفة حال السبي قولها: تبّاً لكم يا أهل الكوفة! كم تراث[18] لرسول الله صلى الله عليه وآله قِبَلكم، وذحوله[19] لديكم؟! ثمّ غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدّي وبنيه وعترة النبي الطيبين الأخيار. وافتخر بذلك مفتخر، فقال:

نحنُ قتلنا علياً وبني علي
بسيوفٍ هنديةٍ ورماح
وسبينا نساءَهم سبي ترك
ونطحناهمُ فأيّ نطاح

فقالت: بفيك أيّها القائل الكثكث، ولك الاثلب... [20].

ولكنّ ذلك لم يقوَ على كبح جماح عواطف جمهور الناس نحو العائلة الكريمة وأهل البيت عليهم السلام، وإظهار التعاطف معهم، والبكاء عليهم، والتفجّع لهم.

وهكذا الحال لما أُخرجوا من الكوفة إلى الشام، فقد روى ابن سعد بسنده عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «حُملنا من الكوفة إلى يزيد بن معاوية، فغصّت طرق الكوفة بالناس يبكون، فذهب عامّة الليل ما يقدرون أن يجوزوا بنا لكثرة الناس. فقلت: هؤلاء الذين قتلونا، وهم الآن يبكون» [21].

موقف جمهور أهل المدينة المنوّرة

أمّا في المدينة المنوّرة فإنّه لما وصل الخبر بقتل الإمام الحسين عليه السلام لعمرو بن سعد بن العاص الأشدق أمر المنادي أن يعلن بقتله في أزقّة المدينة، فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية بني هاشم، واتصلت الصيحة بدار الأشدق، فضحك شامتاً، وأنشد:

عجّت نساءُ بني زيادٍ عجة

كعجيجِ نسوتنا غداةَ الأرنبِ[٢٢]

قال ابن طاووس: فعظمت واعية بني هاشم، وأقاموا سنن المصائب والمآتم[٢٣].

وقال اليعقوبي: «وكان أوّل صارخة صرخت في المدينة أُمّ سلمة زوج رسول الله، كان دفع إليها قارورة فيها تربة، وقال لها: إنّ جبرئيل أعلمني أنّ أُمّتي تقتل الحسين. قالت: وأعطاني هذه التربة، وقال لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أنّ الحسين قد قُتل... فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت: وا حسيناه! وا ابن رسول الله! وتصارخت النساء من كلّ ناحية حتى ارتفعت المدينة بالرجّة التي ما سمع بمثلها قطّ»[٢٤].

وخرجت بنت عقيل في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فلاذت به، وشهقت عنده، ثمّ التفتت إلى المهاجرين والأنصار وأنشدت:

ماذا تقولونَ إن قالَ النبي لكم
يومَ الحسابِ وصدقَ القولِ مسموعُ
خذلتموا عترتي أو كنتمُ غيب
والحقّ عند وليّ الأمرِ مجموعُ
أسلمتموهم بأيدي الظالمينَ فم
منكم لهُ اليومَ عندَ الله مشفوعُ
ما كانَ عندَ غداةِ الطفِّ إذ حضروا
تلكَ المنايا ولا عنهنَّ مدفوعُ

فأبكت مَنْ حضر، ولم يُرَ باكٍ وباكية أكثر من ذلك اليوم[٢٥].

ولعلّه؛ لذا أمر عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام صاحب شرطته عمرو بن الزبير أن يهدم دور بني هاشم ففعل، وبلغ منهم كلّ مبلغ، وهدم دار ابن مطيع، وضرب الناس ضرباً شديداً، فهربوا منه إلى ابن الزبير[٢٦].

حيث لا يبعد أن يكون ذلك منه ردّاً على الناس وعقوبة لهم؛ لأنّهم تحدّوا بعواطفهم موقف السلطة، وإظهاراً لصرامتها في ذلك، وردّاً لهيبتها واعتبارها.

موقف أهل المدينة عند رجوع العائلة الثاكلة إليه

أمّا بعد رجوع ركب العائلة مكرّماً إلى المدينة - نتيجة تراجع السلطة عن

موقفها، كما يأتي - فقد اندفع الناس في إظهار عواطفهم.

فعن الواقدي أنّه لم يبقَ بالمدينة أحد، وخرجوا يضجّون بالبكاء[٢٧]. وقال الخوارزمي: عجت نساء بني هاشم، وصارت المدينة صيحة واحدة[٢٨].

وروي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام بعث بشر بن حذلم ينعى الإمام الحسين عليه السلام لأهل المدينة، ويخبرهم بأنّ ركبه قد نزل بساحتهم، فخرج الناس يهرعون، ولم تبقَ مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزنَ من خدورهنّ يدعونَ بالويل والثبور، وضجّت المدينة بالبكاء، فلم يُرَ باكٍ أكثر من ذلك اليوم.، وخرجوا لاستقبال العائلة الثاكلة وقد أخذوا الطرق والمواضع[٢٩].

موقف الناس في الشام

وحتى الشام فإنّها وإن حُجر عليها ثقافياً، ولم تعرف عموماً غير ثقافة الأمويين، إلّا إنّه كان هناك تململ وإنكار من بعض الخاصة في مجلس يزيد[٣٠]، وفي بعض المناطق بتكتّم وحذر شديدين[٣١].

كما إنّ التاريخ قد تضمّن كثيراً من الإنكارات الفردية بصور متفرّقة، وفي مناسبات مختلفة، ومن الطبيعي أنّ ما لم يسجّل منها أكثر.

وقع الحدث في أمصار المسلمين البعيدة

وعلم الله تعالى كيف كان وقع الحدث في أمصار المسلمين الأُخرى التي هي بسبب بعدها عن الأحداث أبعد عن ضغط الطغمة الحاكمة.

ولاسيما إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد خطا خطوة مهمّة في تعريف المسلمين في أقطار الأرض بمقام أهل البيت عليهم السلام في مؤتمره الذي عقده في الحجّ في أواخر عهد معاوية.

محاولة الإمام الحسين عليه السلام نشر مناقب أهل البيت عليهم السلام

فقد ورد أنّه عليه السلام جمع وجوه مَنْ بقي من المهاجرين والأنصار، وجماعة ممّن يُعرف بالنسك والصلاح من

التابعين المنتشرين في الأقطار الإسلامية وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإنّي أُريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني.

أسألكم بحقّ الله عليكم، وحقّ رسول الله، وحقّ قرابتي من نبيّكم، لما سيّرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أنصاركم من قبائلكم مَنْ أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا؛ فإنّي أتخوّف أن يُدرس هذا الأمر، ويذهب الحقّ ويُغلَب، ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٣٢]».

ثمّ ما ترك عليه السلام شيئاً ممّا أنزل الله تعالى فيهم من القرآن إلّا تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأُمّه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته عليهم السلام إلّا رواه.

وفي كلّ ذلك يقول مَنْ شهد الحديث من الصحابة: اللّهمّ نعم، وقد سمعنا وشهدنا. ويقول التابعي: اللّهمّ قد حدّثني به مَنْ أصدقه وأئتمنه من الصحابة. فقال عليه السلام: «أُنشدكم الله إلّا حدّثتم به مَنْ تثقون به وبدينه». ثمّ تفرّقوا على ذلك[٣٣].

جهود العائلة الثاكلة في كشف الحقيقة وتهييج العواطف

أمّا العائلة الثاكلة التي لم يكن فيها من الرجال سوى الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أنهكه المرض فقد رأت الأرضية الصالحة لبيان الحقيقة، والجوّ المناسب لذلك، فاستثمرت الظلامة لتهييج العواطف.

وقد تيسّر لها في هذه المدّة الطويلة أن تكشف الحقيقة، وتُعلن عن شرف النهضة، ورفعة مقام أهل البيت عليهم السلام، وعن فداحة المصاب، وعظم الجريمة، بنحو ينبّه الغافلين، ويهيج العواطف، ويصدع القلوب، ويترك أعمق الأثر في النفوس.

كان ذلك منها في كربلاء قُبيل

قتل الإمام الحسين عليه السلام[٣٤] وبعد قتله[٣٥]، وفي الكوفة على ملأ من الناس[٣٦]، وفي مجلس ابن زياد[٣٧]، وفي الشام[٣٨]، وفي مجلس يزيد[٣٩].

وإنّ من أشدّ ذلك خطبة العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس يزيد حينما تبجّح بقتله للحسين عليه السلام، وأنشد الأبيات المتقدّمة، حيث إنّها لم تقتصر على بيان ظلامة أهل البيت عليهم السلام وفداحة المصاب، بل زادت على ذلك بتبكيت يزيد وتكفيره، والتأكيد على هوانه على الله تعالى، وعلى خسّته وخسّة أصوله وعراقتهم في الكفر، ووعده بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، والتأكيد على أنّ العاقبة لأهل البيت عليهم السلام.

كلّ ذلك ببيان فريد، ومنطق رصين يبهر العقول، كأنّها تُفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين، وأُمّها الصديقة الزهراء عليهما السلام[٤٠].

كما خطب الإمام زين العابدين عليه السلام خطبة طويلة أبكى بها العيون، وأوجل فيها القلوب، انتسب فيها لآبائه الكرام عليهم السلام، وأشاد برفيع مقامهم وبمواقفهم وجهادهم، وعرج على مصاب أبيه عليه السلام، فقال: «أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن مَنْ بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن مَنْ ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء...».

فضجّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد من الفتنة، فاضطرّ إلى قطع خطبته بأن طلب من المؤذّن أن يؤذّن، فلمّا انتهى المؤذّن إلى قوله: أشهد أنّ محمداً رسول الله، التفت عليه السلام إلى يزيد، وقال: «يا يزيد، محمد هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت إنّه جدّي فلِمَ قتلت عترته؟!»[٤١].

فاجعة الطفّ أشدّ جرائم يزيد وقعاً في نفوس المسلمين

وبالرغم من أنّ يزيد كما قام في السنة الأولى من حكمه بفاجعة الطفّ،

قام في السنة الثانية بواقعة الحرّة الفظيعة التي انتُهكت فيها حرمة المدينة المنوّرة وحرمة أهلها على أبشع وجه، وبوحشية مسرفة، وقام في السنة الرابعة باستباحة حرم الله (عزّ وجلّ) ومكّة المكرّمة، ورُمي المسجد الحرام والكعبة المعظمة بالمنجنيق، إلّا أنّه يبدو أنّ فاجعة الطفّ هي الأشدّ وقعاً في نفوس المسلمين.

فقد ورد عن الزبير بن بكار[٤٢]، وعن البيهقي صاحب التاريخ[٤٣] أنّ عام قتل الحسين عليه السلام سُمّي عام الحزن، كما ذكر البكري أنّهم كانوا يقولون: ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر[٤٤].

ندم جماعة من المشاركين في المعركة

كما صرّح غير واحد بالندم والأسف لاشتراكهم في المعركة، وقيامهم بهذه الجريمة الكبرى، وشعورهم بالخزي والعار في الدنيا، وانتظارهم عظيم العقاب والنكال في الآخرة.

ندم عمر بن سعد وموقف الناس منه

فقد قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله، وهو يقول في طريقه: ما رجع أحد بمثل ما رجعت، أطعت الفاسق ابن زياد، وعصيت الحاكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة[٤٥]. وهجره الناس. وكان كلّما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه، وكلّما دخل المسجد خرج الناس منه، وكلّ مَنْ رآه قد سبّه؛ فلزم بيته إلى أن قُتل[٤٦].

ومرّ يوماً بمجلس بني نهد حين قتل الحسين عليه السلام فسلّم، فلم يردّوا عليه السلام، فلّما جاز قال:

أتيتُ الذي لم يأتِ قبلي ابن حرّة

فنفسي ما أحرت وقومي أذلّتِ[٤٧]

وقال رضي بن منقذ العبدي الذي اشتبك مع برير بن خضير (رضي الله عنه) فصرعه برير، وأنعم عليه كعب بن جابر فاستنقذه بعد أن قتل بريراً:

ولو شاء ربّي ما شهدتُ قتالهم

ولا جعلَ النعماءَ عندي ابن جابرٍ
لقد كانَ ذاكَ اليومُ عاراً وسبة
تعيّرهُ الأبناءُ بعدَ المعاشرِ
فيا ليتَ أنّي كنتُ من قبلِ قتله
ويومَ حسينٍ كنتُ في رمسِ قابرِ[٤٨]

وسُمع شبث بن ربعي في إمارة مصعب يقول: لا يُعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرشد؛ ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع علي بن أبي طالب، ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثمّ عدونا على ابنه - وهو خير أهل الأرض - نقاتله مع آل معاوية وابن سُمية الزانية؟! ضلال يا لك من ضلال![٤٩].

وقال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وعلة أنّ أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه...، فقال له أشياخ من الحي: أنت قتلته؟ قال: لا والله ما أنا قتلته، ولكن قتله غيري، وما أحبّ أنّي قتلته. فقال له أبو الودّاك: ولِمَ؟ قال: إنّه كان زعموا من الصالحين. فوالله، لئن كان إثماً لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إليّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم...[٥٠].

ندم جماعة لتركهم نصرة الإمام الحسين عليه السلام

وأمّا الذين ندموا بعد ذلك لتركهم نصرة الإمام الحسين عليه السلام فكثيرون، لا يسعنا استقصاؤهم، وقد تقدّم قول البراء بن عازب: أعظم بها حسرة؛ إذ لم أشهده وأُقتل دونه[٥١].

وذكروا أنّ عبد الله بن الحرّ الجعفي طلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن ينصره فأبى ذلك واعتزل[٥٢]، وقد أنّبه ابن زياد على عدم قتاله للإمام الحسين عليه السلام في حديث طويل له معه حينما دخل عليه، ثمّ خرج ابن الحرّ من مجلس ابن زياد ومضى إلى كربلاء، فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثمّ مضى حتى نزل المدائن. وقال في ذلك:

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقّ غادر
ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابن فاطمه
فيا ندمي أن لا أكونَ نصرته

إلا كـــلّ نفـــسٍ لا تســـدّدُ نادمـــه
وإنّـــي لأنّـــي لم أكـــن مـــن حماتـــه
لـــذو حســـرةٍ مـــا إن تُفـــارقُ لازمـــه

في أبيات كثيرة يرثي بها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ويؤكّد على شدّة جريمة قتلهم[٥٣]، وله شعر آخر يتضمّن ندمه وحسرته لتقاعسه عن نصره[٥٤].

كما إنّ الظاهر أنّ كثيراً من التوّابين قد ندموا على ترك نَصره عليه السلام مع قدرتهم عليه، بل هم إنّما سمّوا بالتوّابين لذلك، وإن كان الظاهر أنّ كثيراً منهم عجز عن نصر الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ ابن زياد قد سجنه، أو لأنّه قد سدّ الطرق بنحو يتعذّر عليه الوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام، كما أشرنا إلى ذلك في المقدّمة.

استغلال المعارضة للفاجعة ضدّ الحكم الأموي

هذا كلّه مضافاً إلى أنّ الجريمة بأبعادها الواقعية والعاطفية قد استغلّت على أتمّ وجوه الاستغلال من قِبَل المعارضة.

وأظهرها في ذلك الوقت عبد الله بن الزبير العدوّ اللدود لأهل البيت عليهم السلام ولعموم بني هاشم، كما تشهد بذلك مواقفه المشهورة، وقد أشرنا لبعضها في المقدّمة[٥٥]، ويأتي الإشارة لبعضها في الموضع المناسب.

ومع ذلك فقد حاول أن يستغلّ الفاجعة لصالحه؛ فقد كان في جملة كلامه - بعد أن ذمّ أهل العراق عامّة والكوفة خاصّة - أن ذكر الإمام الحسين عليه السلام فقال: ولكنّه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً وأخزى قاتل حسين...، أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم، ونصدّق قولهم، ونقبل لهم عهداً؟! لا ولا نراهم لذلك أهلاً. أما والله، لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحقّ بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل. أما والله، ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب

الصيد فسوف يلقون غيّاً، يعرض بيزيد.

فثار إليه أصحابه، فقالوا له: أيّها الرجل أظهر بيعتك؛ فإنّه لم يبقَ أحد - إذ هَلك حسين - ينازعك هذا الأمر. وقد كان يبايع سرّاً، ويظهر أنّه عائذ بالبيت. فقال لهم: لا تعجلوا[٥٦].

وهكذا حاول أن يجعل من فاجعة الطفّ مبرّراً للامتناع من بيعة يزيد، وإنكار شرعية حكمه، والدعوة للخروج عليه.

الهوامش

[١] فقد روي عن أبي هريرة أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: «ليرعفن على منبري جبّار من جبابرة بني أُميّة يسيل رعافه». قال: فحدّثني مَنْ رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه. مسند أحمد ٥٢٢/٢ مسند أبي هريرة، واللفظ له، مجمع الزوائد ٢٤٠/٥ كتاب الخلافة، باب في أئمّة الظلم والجور وأئمّة الضلالة، تاريخ الإسلام ٢٠٤/٥ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص، تاريخ دمشق ٣٦٠/٤٦ في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص، البداية والنهاية ٣٤٢/٨ أحداث سنة تسع وستين من الهجرة في ترجمة الأشدق، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/١٩٤ كتاب الإمارة، باب في ولاة السوء، وغيرها من المصادر.

[٢] راجع ص: ٧٩، وص: ١٠٣.

[٣] تقدّمت مصادره في/٦٠.

[٤] تقدّمت مصادره في/٦٠.

[٥] تقدّمت مصادره في/٥٩.

[٦] تاريخ الطبري ج: ٤ ص: ٣٤٩ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له. الكامل في التاريخ ج: ٤ ص: ٨١ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: ذكر مقتل الحسين. أسد الغابة ج: ٢ ص: ٢١ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب. الأخبار الطوال ص: ٢٥٩ - ٢٦٠ نهاية الحسين. البداية والنهاية ج: ٨ ص: ٢٠٧ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة: صفة مقتله مأخوذة من أئمة الشأن. وغيرها من المصادر الكثيرة.

[٧] الفتوح لابن أعثم ج: ٥ ص: ١٥٠ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي عليهما السلام. اللهوف في قتلى الطفوف ص: ١٠٥.

[٨] تاريخ الطبري ٣٥٢/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، تاريخ دمشق ١٢٣/٦٤ في ترجمة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، الكامل في التاريخ ٨٩/٤ - ٩٠ في أحداث سنة إحدى وستين، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢٠٨/٨ - ٢٠٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، وغيرها من المصادر.

ونسب هذا البيت إلى عبد الرحمن بن أُمّ الحكم في مجمع الزوائد ١٩٨/٩ كتاب

المناقب، باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ١١٦/٣ ح ٢٨٤٨ مسند الحسين بن علي، ذكر مولده وصفته وهيأته، وتاريخ دمشق ٣١٦/٣٤ في ترجمة عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، وتاريخ الإسلام ١٨/٥ الطبقة السابعة، حوادث سنة واحد وستين، مقتل الحسين، والوافي بالوفيات ٦٢٣/١، وأنساب الأشراف ٤٢١/٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، وغيرها من المصادر.

[٩] تاريخ الطبري ٣٥٦/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، الكامل في التاريخ ٨٩/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢١٣/٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، تاريخ دمشق ٨٥/٦٢ في ترجمة نضلة بن عبيد، وغيرها من المصادر.

[١٠] تاريخ الطبري ٣٥١/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، الكامل في التاريخ ٨٣/٤ في أحداث سنة إحدى وستين، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢٠٧/٨ – ٢٠٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، الفتوح – لابن أعثم ١٤٤/٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد، المحبر/٤٨٠، أنساب الأشراف ٤١٣/٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، تذكرة الخواص/٢٥٩، وغيرها من المصادر.

[١١] مقتل الحسين – للخوارزمي ٥٣/٢، واللفظ له، الفتوح – لابن أعثم ١٤٤/٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد، اللهوف في قتلى الطفوف/٩٦، وغيرها من المصادر.

[١٢] تاريخ الطبري ٣٥١/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، الكامل في التاريخ ٨٣/٤ في أحداث سنة إحدى وستين، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢٠٨/٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، المحبر/٤٨٠، الفتوح – لابن أعثم ١٤٥/٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد، أنساب الأشراف ٤١٤/٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، اللهوف في قتلى الطفوف/٩٩، وغيرها من المصادر.

[١٣] الفتوح – لابن أعثم ١٤٥/٥ ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على ابن زياد، أنساب الأشراف ٤١٤/٣ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، مقتل الحسين – للخوارزمي ٥٣/٢ – ٥٤، اللهوف في قتلى الطفوف/٩٧، وغيرها من المصادر.

[١٤] اللهوف في قتلى الطفوف/٧٨، واللفظ له، مثير الأحزان/٥٨، بحار الأنوار ٥٨/٤٥.

[١٥] بلاغات النساء/٢٣ كلام أُمّ كلثوم بنت علي عليهما السلام، الفتوح – لابن أعثم ١٣٩/٥ تسمية مَنْ قُتل بين يدي الحسين من ولده وإخوانه وبني عمّه (رضي الله عنهم)، تاريخ اليعقوبي ٢٤٥/٢ مقتل الحسين بن علي، مقتل الحسين – للخوارزمي ٤٠/٢، مطالب السؤول/٤٠٣، الأمالي – للمفيد/٣٢١،

الأمالي – للطوسي/٩٢، اللهوف في قتلى الطفوف/٨٦، بحار الأنوار ١٦٢/٤٥، وغيرها من المصادر.

[١٦] بلاغات النساء/٢٣ – ٢٤ كلام أُمّ كلثوم بنت علي عليها السلام، جمهرة خطب العرب ١٣٤/٢خطبة السيدة أُمّ كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام، الأمالي – للمفيد/٣٢١، الأمالي – للطوسي/٩١، والتدام النساء: ضربهنَّ وجوههنَّ في المأتم.

[١٧] الأمالي – للصدوق/١٤٦ مجلس ٣١ رقم الحديث ٣، وعنه في بحار الأنوار ١٥٤/٤٥.

[١٨] اللهوف في قتلى الطفوف ٩١ – ٩٢، وذكر قريباً من ذلك الخوارزمي في مقتله ٤١/٢.

[١٩] التراث: ما يخلفه الرجل لورثته، وفي مثير الأحزان/٦٨: أيّ ترات، بالتاء المثناة. وترات جمع تِرة: وهي إصابة الشخص بظلم أو مكروه، وهو أنسب بالمقام.

[٢٠] الذحول جمع ذحل وهو الثأر.

[٢١] الاحتجاج ٢٨/٢، واللفظ له، اللهوف في قتلى الطفوف/٩٠، مثير الأحزان/٦٨، والكثكث: هو التراب وفتات الحجارة. وكذا الأثلب والإثلب.

[٢٢] ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد/٨٩ ح ٣١٣.

[٢٣] تاريخ الطبري ٣٥٦/٤ – ٣٥٧ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، الكامل في التاريخ ٨٩/٤ في أحداث سنة إحدى وستين، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، الإرشاد ١٢٣/٢، مثير الأحزان/٧٤، وغيرها من المصادر.

[٢٤] اللهوف في قتلى الطفوف/٩٩.

[٢٥] تاريخ اليعقوبي ٢٤٦/٢ مقتل الحسين بن علي.

وقد استفاضت أحاديث الشيعة والجمهور المتضمّنة دفع النبي صلى الله عليه وآله لأُمّ سلمة (رضي الله عنها) تربة، وأعلمها أنّ الإمام الحسين عليه السلام إذا قُتل تصير دماً، وأنّها علمت بقتله عليه السلام حينما رأت أنّ تلك التربة صارت دماً.

قال ابن الأثير: فأعلمت الناس بقتله أيضاً. الكامل في التاريخ ٩٣/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر أسماء مَنْ قُتل معه، وراجع حديث التربة المذكور في مجمع الزوائد ١٨٩/٩ كتاب المناقب، باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، والمعجم الكبير ١٠٨/٣ مسند الحسين بن علي، ذكر مولده وصفته، وتاريخ دمشق ١٩٣/١٤ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتهذيب الكمال ٤٠٩/٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وتهذيب التهذيب ٣٠١/٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، والوافي بالوفيات ٢٦٣/١٢ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، وإمتاع الأسماع ٢٣٨/١٢، والفتوح – لابن أعثم ٣٢٧/٤ ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده وشيعته من ورائه وأهل السنّة وما ذكروا في ذلك من الاختلاف، وغيرها من المصادر الكثيرة.

[٢٦] ١ – الأمالي – للمفيد/٣١٩، الأمالي – للطوسي/٩٠، مناقب آل أبي طالب – لابن شهرآشوب/٢٦٢.

وعن أبي الكنود قال: ولما أُتي أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي

طالب ومعها نساؤها، وهي حاسرة تلوي بثوبها وتقول:

ماذا تقولونَ إن قالَ النبي لكم
فعلتم وأنتم آخرُ الأُمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أُسارى ومنهم ضُرّجوا بدمِ

تاريخ الطبري ٣٥٧/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، الكامل في التاريخ ٨٨/٤ – ٨٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢١٥/٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، المعجم الكبير ١١٨/٣ مسند الحسين بن علي، ذكر مولده وصفته، مجمع الزوائد ١٩٩/٩ – ٢٠٠، كتاب المناقب، باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، تاريخ دمشق ١٧٨/٦٩ في ترجمة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب، وغيرها من المصادر.

[٢٧] الأغاني ٧٥/٥ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات، وقد تعرّض لبعض ذلك الزركلي في الأعلام ٢٤٨/٧ في ترجمة مصعب بن الزبير.

[٢٨] ينابيع المودّة ٤٧/٣، تذكرة الخواص/٢٦٧ حديث الجمال التي حمل عليها الرأس والسبايا.

[٢٩] مقتل الحسين – للخوارزمي ٧٦/٢.

[٣٠] اللهوف في قتلى الطفوف/١١٥، مثير الأحزان/٩٥ – ٩٦.

[٣١] تاريخ دمشق ٩٥/٦٨ في ترجمة رجل له صحبة، أسد الغابة ٣٨١/٥ في ذكر عبد الواحد بن عبد الله القرشي عن رجل من الصحابة، تهذيب الكمال ٤٢٩/٦ في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، سير أعلام النبلاء ٣٠٩/٣ في ترجمة الحسين الشهيد، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله/٤٦، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد/٨٢ ح ٢٩٦، الفتوح – لابن أعثم ١٥٠/٥، ١٥٤ ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه برأس الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، مقتل الحسين – للخوارزمي ٧١/٢ – ٧٣، تذكرة الخواص/٢٦٣، وغيرها من المصادر الكثيرة.

[٣٢] مقتل الحسين – للخوارزمي ٦١/٢، اللهوف في قتلى الطفوف/١٠٢ – ١٠٣، بحار الأنوار ٢٧٣/٤٥، وغيرها من المصادر.

[٣٣] سورة الصف/٨.

[٣٤] كتاب سليم بن قيس الهلالي/٣٢٠ – ٣٢١، الاحتجاج ١٨/٢ – ١٩.

[٣٥] تاريخ الطبري ٣٤٥/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، الكامل في التاريخ ٧٨/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه)، البداية والنهاية ٢٠٤/٨ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، الإرشاد ١١٢/٢، وغيرها من المصادر.

وقد قال الطبري في حديث رواه: وعُتب على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار: إنّ لي عند بني هاشم ليداً. قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فانتهيت إليه، فوالله لو شئت لطعنته، ثمّ انصرفت عنه غير

بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولّى قتله؟! يقتله غيري. قال: فشدّ عليه رجّالة ممّن عن يمينه وشماله، فحمل على مَنْ عن يمينه حتى أُذعروا، وعلى مَنْ عن شماله حتى أُذعروا، وعليه قميص له من خز وهو معتم. قال: فوالله، ما رأيت مكسوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه، ولا أجرأ مقدماً. والله، ما رأيت قبله ولا بعده مثله؛ إن كانت الرجّالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب. قال: فوالله، إنّه لكذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أُخته... وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض. وقد دنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد، أُيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! قال: فكأنّي أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدّيه ولحيته. قال: وصرف بوجهه عنها.

[٣٦] مثير الأحزان/٥٩، مناقب آل أبي طالب – لابن شهرآشوب ٣/٢٦٠، اللهوف في قتلى الطفوف/٧٨ – ٧٩.

ومن ذلك ما رواه الطبري عن قرّة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحنَ ولطمنَ وجوههنَّ. قال: فاعترضتهنَّ على فرس، فما رأيت منظراً من نسوة قطّ كان أحسن من منظر رأيته منهنَّ ذلك. والله، لهنَّ أحسن من مها يبرين. قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه! يا محمداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء. يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريّتك مقتّلة تسفى عليها الصبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق. تاريخ الطبري ٤/٣٤٨ – ٣٤٩ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

[٣٧] تقدّم التعرّض لبعض ذلك عند ذكر موقف أهل الكوفة حين استقبلوا العائلة الثاكلة. راجع ملحق رقم ٣.

[٣٨] فقد نقل ابن نما عن حميد بن مسلم أنّه قال: لما أُدخل رهط الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد – لعنهما الله – أذن للناس إذناً عاماً. وجيء بالرأس فوضِع بين يديه، وكانت زينب بنت علي عليهما السلام قد لبست أردأ ثيابها وهي متنكّرة، فسأل عبيد الله عنها ثلاث مرّات، وهي لا تتكلّم. قيل له: إنّها زينب بنت علي بن أبي طالب، فاقبل عليها، وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم. فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهرنا تطهيراً، [لا كما تقول أنت. تاريخ الطبري] إنّما يُفتضح الفاسق، ويُكذب الفاجر، وهو غيرنا. فقال: كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل؛ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاج وتُخاصم، فانظر لَمَنْ الفلج، هبلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب ابن زياد، [وكأنّه هم بها. اللهوف، مقتل الحسين عليه السلام]، وقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة، ولا تُؤاخذ بشيء من منطقها. فقال ابن زياد: لقد شفاني الله من

طغاتكِ والعصاة المردة من أهل بيتكِ. فبكت، ثمّ قالت: لقد قتلت كهلي، [وأبّرت أهلي. الطبري] وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي. فإن تشفّيت بهذا فقد اشتفيت. مثير الأحزان/٧٠. راجع الأمالي – للصدوق/٢٢٩، والإرشاد ١١٥/٢، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج: ١، ص: ٤٧١ – ٤٧٢، واللهوف في قتلى الطفوف/٩٣ – ٩٤، وتجده مع اختلاف يسير في تاريخ الطبري ٣٤٩/٤ – ٣٥٠ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، والكامل في التاريخ ٨١/٤ – ٨٢ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر مقتل الحسين عليه السلام، والبداية والنهاية ٢١٠/٨ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمّة الشأن، والفتوح – لابن أعثم ١٤٢/٥ ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد، ومقتل الحسين – للخوارزمي ٤٢/٢، وغيرها من المصادر.

[٣٩] قال الخوارزمي: ثمّ أُتي بهم حتى أقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يُقام السبي، وإذا شيخ أقبل حتى دنا منهم قال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح العباد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا شيخ، هل قرأت القرآن؟». قال: نعم. قال: «هل قرأت هذه الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟». قال الشيخ: قرأتها. قال: «فنحن القربى يا شيخ. وهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟». قال: نعم. قال: «فنحن أهل البيت الذي خُصصنا بآية الطهارة». فبقي الشيخ ساكتاً ساعة نادماً على ما تكلّم به، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ إنّي أتوب إليك من بغض هؤلاء، وإنّي أبرأ إليك من عدوّ محمد وآل محمد من الجنّ والإنس. مقتل الحسين – للخوارزمي ٦١/٢ – ٦٢، وقد ذكر القصّة باختلاف يسير في اللهوف في قتلى الطفوف/١٠٢ – ١٠٣، وفي تفسير الطبري ٣٣/٢٥، وتفسير الثعلبي ٣١١/٨، وتفسير ابن كثير ١٢١/٤، وروح المعاني – للآلوسي ٣١/٢٥، والدرّ المنثور ٧/٦، وغيرها من المصادر.

[٤٠] قال ابن الجوزي: وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال، فناداه علي: يا يزيد، ما ظنّك برسول الله لو رآنا موثقين في الحبال، عرايا على أقتاب الجمال؟! فلم يبقَ في القوم إلّا مَنْ بكى. تذكرة الخواص/١٦٢، واللفظ له، الأنوار النعمانية ٢٥١/٣ نور في بعض أحوال واقعة الطفوف، اللهوف في قتلى الطفوف/١٠١.

وروى الخوارزمي كلام له عليه السلام مع يزيد أشدّ من هذا لا يسعنا ذكره لطوله. مقتل الحسين – للخوارزمي ٦٣/٢.

[٤١] راجع ملحق رقم ٤، وتقدّم بعض خطبتها المذكورة في/٨٠، ويأتي لها معه كلام آخر في/٢٤٢.

[٤٢] راجع ملحق رقم ٥.

[٤٣] ملحقات إحقاق الحقّ ٦٩٩/٣٣ عن مختصر تذكرة القرطبي – للشعراني/٢٢٢.

[٤٤] مقتل الحسين – للخوارزمي ٤٠/٢.

[٤٥] معجم ما استعجم ٩٥٠/٣ عند ذكر (العقر)، ومثله مع اختلاف يسير في تاريخ الإسلام ٨/٧ في حوادث سنة اثنتين ومئة، ووفيات الأعيان ٣٠٨/٦، و١٠٩/٤ وقد نسبه فيه إلى كثير، وكذا نسبه في الوافي بالوفيات ٢٤٨/٢٤.

[٤٦] تذكرة الخواص/٢٥٩، أنساب الأشراف ٤١٤/٣ – ٤١٥ مقتل الحسين بن علي عليه السلام، الأخبار الطوال/٢٦٠ نهاية الحسين.

[٤٧] تذكرة الخواص/٢٥٩.

[٤٨] تاريخ دمشق ٥٤/٤٥ في ترجمة عمر بن سعد، واللفظ له، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد/٨٨ ح ٣٠٧ – ٣٠٨.

[٤٩] تاريخ الطبري ٣٣٠/٤ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

[٥٠] تاريخ الطبري ٣٣٢/٤ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، الكامل في التاريخ ٦٨/٤ – ٦٩ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر مقتل الحسين (رضي الله عنه).

[٥١] تاريخ الطبري ٣٣٣/٤ في أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة.

[٥٢] تقدّم في/٢٥.

[٥٣] تاريخ دمشق ٤٢١/٣٧ في ترجمة عبيد الله بن الحرّ بن عمرو، الفتوح – لابن أعثم ٣٠١/٦ ابتداء خبر عبيد الله بن الحرّ الجعفي، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد/٩٣ في تتمة حديث سابق بعد حديث برقم ٣٢٩.

[٥٤] تاريخ الطبري ٣٥٩/٤ – ٣٦٠ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، واللفظ له، البداية والنهاية ٢٢٩/٨ في شيء من أشعاره التي رويت عنه، تاريخ دمشق ٤٢٠/٣٧ في ترجمة عبيد الله بن الحر بن عمرو، الفتوح – لابن أعثم ٣٠٢/٦ ابتداء خبر عبيد الله بن الحرّ الجعفي.

[٥٥] تاريخ دمشق ٤٢١/٣٧ في ترجمة عبيد الله بن الحرّ بن عمرو، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد/٩٤، ٩٦.

[٥٦] تقدّم في/٦٤.

[٥٧] تاريخ الطبري ٣٦٤/٤ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة، واللفظ له، الكامل في التاريخ ٩٨/٤ – ٩٩ أحداث سنة إحدى وستين من الهجرة، ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد، وقد اقتصر ابن الجوزي على ذكر خطبة ابن الزبير في تذكرة الخواص/٢٦٨.

الأَبْعَادُ السِّيَاسِيَّةُ وَالاِجْتِمَاعِيَّةُ لِزِيَارَةِ الأَرْبَعِين

❖ **الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني** (١)

(١) استاذ البحث الخارج /قم المشرفة.

الاجتهـــاد: أراد الائمـــة عليهم السلام ان تكـــون عظمـــة اهـــل البيـــت عليهم السلام وشيعتهم متمحورة ومرتكـزة علـى قبـر الإمام الحسين عليه السلام ان وجـود التأكيـد في الروايات على الزيـارة بمـا فـي ذلـك النساء والاطفـال يـدل علـى ان مسـألة استحباب الإمام الحسـين عليه السلام ليسـت امرا شخصيا بل هي الوجه الاجتمـاعي للشيعة اهل البيت عليهم السلام. و بما أن زيارة الأربعين على الأعتاب في هـذه الأيـام فمن المناسـب ان نـذكر بعـض الامـور المتعلقة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

من جملة الأبحـاث المهمـة الروائيـة والاعتقاديـــة هـــي زيـــارة الإمـــام الحسين عليه السلام التي ورد فيها روايات كثيـرة في أبواب مختلفة مـن الحـديث وقـد أورد محدثينا بعض الرويات فـي هـذه الزيـارة، وأرى مـن المؤسـف جـدا أن لا نتعـرض إلى هذه الروايات ولو إجمالا.

يجب على كل طالب علم ان يلاحظ هـذه الروايـات والنقـاط المهمـة جـدا ويسـتفيد منهـا، والعنـاوين التـي أوردهـا صاحب الوسائل لهذه الروايات عبـر عنهـا بتعـابير مهمـة جـدا مـثلا بـاب تأكـد استحباب زيارة الحسـين بـن علـي عليهما السلام ووجوبهـا كفايـة، وهـذا يعنـي ان صـاحب الوســائل فهــم مــن هــذه الروايــات الاستحباب المؤكد بل الوجوب الكفائي.

وردت فـي هـذه الروايـات تعبيـرات عجيبة أولاً: نفـس الأئمـة عليهم السلام اكـدوا على هذه الزيارة في الوسائل البـاب ٣٧ الحديث ٧ حيث ورد: مُعَاوِيَةَ بْـنِ وَهْـبٍ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِـي عَبْـدِ اللَّـهِ عليه السلام فَقِيلَ لِـي ادْخُـلْ فَـدَخَلْتُ فَوَجَدْتُـهُ فِـي مُصَلَّاهُ فِي بَيْتِـهِ فَجَلَسْـتُ حَتَّـى قَضَـى صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُهُ يُنَاجِي رَبَّـهُ وَ هُـوَ يَقُـولُ اللَّهُـمَّ يَـا مَـنْ خَصَّـنَا بِالْكَرَامَـةِ وَ وَعَـدَنَا بِالشَّفَاعَةِ وَ خَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ وَ أَعْطَانَا عِلْمَ

مَا مَضَى وَ عِلْمَ مَا بَقِيَ- وَ جَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا اغْفِرْ لِي وَ لِإِخْوَانِي وَ زُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ»؛ ثم يقول عليه السلام في وصف زوار الامام الحسين عليه السلام: «الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَ أَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا وَ رَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا»؛ ثم يقول: «وَ سُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَ إِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَ غَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا»

وهذا يعني ان زيارة الإمام الحسين عليه السلام تشتمل على عنواني التولي والتبري ثم دعى الامام الصادق عليه السلام في سجدته أدعية مهمة حيث قال: «فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ وَ ارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَى حَضْرَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَ ارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا». إلى اخر الرواية حيث يقول: «يَا مُعَاوِيَةُ مَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْض»

وفي حديث آخر: «قَالَ لِي يَا مُعَاوِيَةُ لَا تَدَعْ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِخَوْفٍ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَهُ رَأَى مِنَ الْحَسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ عِنْدَهُ»؛ ثم يقول عليه السلام: «أَ مَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا مَضَى وَ يُغْفَرَ لَكَ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً أما تحب ان تكون غدا ممن يصافحه الملائكة أَ مَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَ لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ يُتْبَعُ بِهِ أَ مَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ يُصَافِحُهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله» ان كل من يزور الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا سيصافح رسول الله صلى الله عليه وآله في الاخرة.

وبناء على هذا فزيارة الحسين عليه السلام مستحب مؤكد بل واجب كفائي ومن جانب اخر ان ترك هذه الزيارة من المكروهات وهذا يعني ان الإنسان يستطيع زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولا يوجد موانع فترك الزيارة من المكروهات ولو ان عبدا يحج كل عمره ولكنه لا يأتي قبر الحسين عليه السلام فقد ترك حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله «لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله» وقد ورد في بعض التعبيرات عاق لرسول الله صلى الله عليه وآله.

مسيرة الأربعين:

ومن جملة الابواب التي جاء فيها زيارة الامام الحسين عليه السلام ويوجد فيه

حث النساء على زيارة الحسين عليه السلام بالرغم من ان الاسلام يحاول قدر الامكان الحفاظ على النساء من ان تقع في نظر الاجنبي ويرجح قد الامكان عدم خروجها من المنزل ولكن نجد ان الشارع هنا يحث النساء على زيارة الحسين عليه السلام. فقد ورد ان الامام الصادق عليه السلام قال لأم سعيد الاحمسية: «يا أُمَّ سَعِيدٍ تَزُورِينَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ قَالَتْ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ لِي زُورِيهِ فَإِنَّ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ»، وهذا الوجوب ليس بمعنى الوجوب الفقهي وانما المقصود تأكد استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام على النساء والرجال.

فالمرأة التي وضع عنها الجهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الله هو ان ينبري الانسان للدفاع عن الدين والمرأة وضع عنها الجهاد، وأما زيارة الامام الحسين عليه السلام فقد ورد الحث في الروايات على الزيارة بما فيها الرجال والنساء فيستحب للنساء زيارة الامام الحسين عليه السلام.

ومن جملة النقاط المتعلقة باستحباب المشيء لزيارة الحسين عليه السلام هي انه ذكر البعض ان الروايات الوردة في استحباب المشي من قوله (له بكل خطوة حسنة) اي ان الله عز وجل يعطي زائر الحسين عليه السلام مقابل كل خطوة حسنة ان هذا مختص بالزائر الذي يدخل كربلاء ويستقر في منزله ثم بعد ذلك يخرج من منزله ماشيا لزيارة الامام الحسين، ولكن هذا الكلام مخالف تمام لاطلاق الروايات.

حيث يستفاد من الروايات ان هذا الثواب ثابت لكل زائر من اي نقطة مشى نحو كربلاء ولو عن بعد الاف الفراسخ ولا يختص الامر بالزوار الذين استقروا في مدينة كربلاء، بل وردت بعض الروايات التي تصرح بالخروج من منزل الزائر مثل قوله: «من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي عليه السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوةٍ حسنة»، والمقصود بالمنزل هنا الوطن المكان الذي يسكن ويستقر فيه وليس المكان الذي يستقر فيه في كربلاء وقد وردت روايات كثيرة في استحباب المشي.

في الآونة الأخيرة، يقول بعض

الجهلة الذين لم يطلعوا على الروايات، والذين يريدون أن يكونوا مثقفين، ما هذه الصنيعة التي فعلتموها لدرجة أن الجميع يسير هذه الأيام ويشجع الناس على المشي لزيارة الحسين. وبعضهم تجاوز هذا وقال ما هذه الشيء الذي ابدعتموه. بينما في رواياتنا التشجيع والحث على الزيارة مشياً على الأقدام وبالسيارة. هناك صور منذ مائة عام تحكي وجود اشخاص يذهبون مشياً من النجف إلى كربلاء، لا بد أنها كانت من قبل ولا ندري، لأنه منذ زمن الأئمة كان أتباع الأئمة عليهم السلام يعملون بهذه الروايات وربما يكونون أكثر تقييدًا منا في العمل بهذه روايات.

يقول الامام عليه السلام ان كان ماشيا «كتب الله له بكلّ خطوةٍ حسنة و محي عنه سيئة حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من الصالحين» فاذا زاره «كتبه الله من الفائزين» «حتى إذا أراد الانصراف اتاه ملك فقال له أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام و يقول لك استأنف العمل فقد غفر لك ما مضي».

وروايات المشي كثيرة وفيها تعابير لطيفة جدا فاذا درسها المحقق الفقيه وتأمل فيها يستخرج منها نقاطا كثيرة وكذلكل بالنسبة الى يوم الاربعين يتأكد الاستحباب اي ان زيارة الامام الحسين عليه السلام في حد ذاتها مستحبة في جميع الاوقات فاذا جاء يوم الاربعين تأكد الاستحباب بشكل اكثر.

وقد وردت زيارة الأربعين في الرواية المعروفة عن الامام العسكري عليه السلام حيث يقول: «علامات المؤمن خمس صلاة الاحدي والخمسين و زيارة الأربعين و...» يحتمل ان المراد هو قراءة زيارة الاربعين التي تشتمل على فقرات مهمة وهي بحاجة الى جلسات من البحث بحيث يتم الحديث عن كل واحدة من عباراتها. ويحتمل قويا ان المراد هو زيارة الاربعين اي الذهاب الى كربلاء وزيارة الامام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، ويؤيد ذلك الروايات الواردة في هذا المجال.

من جملة النقاط التي تطرح في استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام والتي تم التأكيد عليها ان الزيارة هي من

مظاهر محبة رسول الله صلى الله عليه وآله واميرالمؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وهذا الامر عجيب حيث ان تضمين الزيارة بنية حب رسول الله صلى الله عليه وآله وحب امير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام فحينما تزور الحسين عليه السلام زره حبا لرسول الله واميرالمؤمنين وفاطمة عليهم السلام.

وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ زُوَّارُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» وما اهم زوار الحسين عليه السلام بحيث ينادى باسمهم كما ينادى اين الرجبيون؟ «فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَى فَيَقُولُ لَهُمْ مَا أَرَدْتُمْ بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»؛ احيانا نكون قد قصدنا الامام الحسين عليه السلام بالزيارة ونطلب حاجتنا ونصلي ركعتين لكن المهم في الزيارة ان يكون ذلك حبا لرسول الله صلى الله عليه وآله «فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ أَتَيْنَاهُ حُبّاً لِرَسُولِ اللهِ وَ حُبّاً لِعَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ رَحْمَةً لَهُ مِمَّا ارْتُكِبَ مِنْهُ فَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا مُحَمَّدٌ وَ عَلِيٌّ وَ فَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ فَالْحَقُوا بِهِمْ فَأَنْتُمْ مَعَهُمْ فِي دَرَجَتِهِمْ الْحَقُوا بِلِوَاءِ رَسُولِ اللهِ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ فَيَكُونُونَ فِي ظِلِّهِ وَ اللِّوَاءُ فِي يَدِ عَلِيٍّ عليه السلام حَتَّى يدخلون الْجَنَّةَ جَمِيعاً».

ويستفاد من هذه العبارة نقطتين:

النقطة الاولى: ان الانسان يفهم جيدا من هذه الرواية ومن هذا الاستحباب وهذا الترغيب والحث ان هذا الحكم ليس حكما فرديا بمعنى ان الائمة عليهم السلام مثلا يريدون ان نحصل على الثواب كما في صلاة النوافل مثلا حيث ان الانسان من خلال اداء النوافل يحصل على الثواب، كلا بل الحق ان الانسان حينما يتأمل في هذه الروايات يفهم ان الائمة عليهم السلام من خلال حثهم وترغيبهم على زيارة الحسين عليه السلام يريدون من ذلك ان تكون عظمة اهل البيت عليهم السلام تظهر وترتكز على زيارة قبر الامام الحسين عليه السلام.

ان ما يستفاد من الروايات من استحباب الزيارة حتى بالنسبة الى النساء بل حتى الاطفال دليل واضح على ان استحباب زيارة الامام الحسين عليه السلام لم من باب الحكم

الفـردي بـل هـو حكـم اجتمـاعي ومسـتحب مؤكـد علـى شـيعة أهـل البيـت عليهم السلام ان يـزوروا الحسـين عليه السلام «حبّـاً لرسـول اللـه و لفاطمـة»، وهـذا يعني ان هذا الحكم من قبيـل الحكـم الوارد في الاية الكريمة ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت﴾

وبنـاء علـى هـذا فلـيس المسـألة الاسـتحباب الفـردي فحسـب بـل ان هناك مسالة اجتماعية ومـن هنـا كلما كان اقامة هذه الزيارة بشـكل افضـل و اكبر وعلـى احسـن وجـه فهـو مطلـوب للائمة المعصومين عليهم السلام، ومن هنا فـلا معنى للاشكال على الترغيـب والحـث علـى زيـارة الاربعـين فلـيس الامـر ان هنـاك مجموعـة يـذهبون الـى زيـارة الحسـين عليه السلام ويرجعـون، بـل اليـوم اصبحت هذه الزيارة اي زيارة الاربعـين مظهر من مظاهر قـوة الشـيعة وعظمـة اهل البيت عليهم السلام.

النقطة الثانيـة: مرتبطـة بالنقطـة الاولـى ان الجنبـة السياسـية لزيـارة الاربعين مهميـة علـى الجنبـة العباديـة فحينما يأتينا الحث والترغيب من اهـل البيت عليهم السلام بزيارة الامام الحسـين عليه السلام لكـي نـدخل السـرور علـى قلـب رسـول الله صلى الله عليه وآله ونغضـب بـذلك الاعـداء فهـذا هـو البعـد السياسـي فكمـا ان الكعبـة محـور وقطـب لاظهـار التوحيـد ونفـي الشرك فقبـر الامـام الحسـين عليه السلام هـو قطب مرتبط برسول اللـه وجميـع اهـل البيت عليهم السلام والائمـة المعصـومين عليهم السلام وهو محور اظهـار محاربـة اعـداء اهـل البيت عليهم السلام والتبري منهم. ونامـل مـن الذين يوفقون للحضـور والمشـاركة فـي هذه المراسيم ان يقيموها باحسن وجه ويزورا بالنيابة عمن لم يوفق للزيارة.

ومن جملة المسـتحبات الاسـتنابة فـي زيـارة الامـام الحسـين عليه السلام وهـذا التوفيق كبير جـدا فـي ظـروف خطيـرة على الاسلام والتشيع وهو هذا الزمـان فان شوكة الاسلام تقـوى اليـوم ببركـة اهل البيت عليهم السلام.

ونسـأل اللـه تعـالى ان يحفـظ الزائرين في هذا العام من جميـع شـرور الاعداء ويوم بعد يوم يزداد فخر الشـيعة وعظمة اهل البيت عليهم السلام.

النَّهضةُ الحُسَينيَّةُ

أُسُسُ قِيامِها ودَورُها في التَّصحيحِ

❖ الشيخ عبد الله موسى [1]

(١) باحث اسلامي/ حوزة النجف الاشرف

إسلام بني أمية

إن أحد الأمراض السياسية التي رافقت الرسالة الإسلامية منذ الأيام الأولى للبعثة هي الحالة التي أطلق عليها القرآن الكريم تسمية (النفاق) ولم تخلو فترة من حياة هذه الرسالة إلا وكان المنافقين قوة ونفوذ غير اعتيادي مما أوصلهم في بعض العصور إلى قمة قيادة الأمة حيث أدى هذا الوضع الشاذ إلى انحراف خطير طال كل الأرض الإسلامية.

وقد بدأت السلسلة منذ أيام الرسول الأكرم ﷺ فكان أبو سفيان بقصة عدائه المعروفة للدين الجديد ولشخص الرسول ﷺ ليصبح العلم الأول في قيادة المنافقين، وبدأت هذه المدرسة تخرج رجالاتها الذين أبلوا بلاءً خطيراً في تحريف النهج الإسلامي ومحاولة إعادة العصبية الجاهلية من جديد، فبعد وفاة الرسول ﷺ وإعطاء راية الخلافة إلى وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام برز معاوية بن أبي سفيان إلى السطح السياسي وأخذ يهيئ للدور الذي اختطه ورسمه له من سبقه في التخطيط لظهوره، وبعد مآل الخلافة الإسلامية إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان كان معاوية يعمل في خلف الكواليس لتنفيذ مهمته التي تبلورت قاعدتها في زمن خلافة عثمان ومن ثم قتله وما أحدث من إفرازات خلخلت الجبهة الإسلامية التي تمتعت بقدر من الاستقرار النوعي خلال الفترات السابقة لتبدأ حرب معاوية المعلنة ضد الخلافة الإسلامية المتمثلة بالإمام أمير المؤمنين

علي عليه السلام وبدأت الفتن تنهش أطراف الدولة الإسلامية حيث برزت شوكة المرتدين والخوارج تقوى لتعطيل المشروع الإسلامي الذي أراد الإمام عليه السلام إعادته إلى سابق عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إضافة إلى حروب معاوية وتمرده على الخلافة الإسلامية. ورغم الهدوء النسبي المعلن الذي ساد المرحلة الأخيرة من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن المؤامرة السيرة لم تهدأ وكانت تحضيرات معاوية تجري على قدم وساق لمواجهة المرحلة المقبلة، حتى حيكت مؤامرة اغتيال الإمام عليه السلام على يد من الخوارج الذين مثلوا وقتها الوجه السياسي لحركة معاوية الانقلابية.

وما دمنا لسنا بصدد عرض هذه الوقائع التاريخية وإنما أتينا بها مقدمة لكلامنا، فإن الحديث عنها يتطلب بحوثاً مفصلة وقد تحدثت الكثير من الكتب التاريخية وكتب السيرة عن هذا مفصلاً. لذا سنتركها وندخل فيما يرتبط بموضوعنا.

الإمام الحسين عليه السلام شاهداً

عاش الإمام الحسين عليه السلام خطوات الدعوة الإسلامية بكل مراحلها وتحت ظل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي كان يقربه وأخاه الإمام الحسن عليه السلام منذ صغرهما وكان الإمام الحسين يلقى الرعاية من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن أمير المؤمنين عليه السلام بصورة استثنائية حتى أن الصحابة والخلفاء كانوا يقربونه لما عرفوا من قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول فيه عليه السلام: «حسين مني وأن من حسين» وفي قصة تنقلها التواريخ الإسلامية أن الإمام الحسين عليه السلام مر على المسجد فوجد عمر يخطب على المنبر فصاح به الإمام عليه السلام قائلاً له: «أنزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك» فأجابه عمر بما يليق بالإمام عليه السلام قائلاً له: «لم يكن لأبي منبر»، ثم أخذ بيد الحسين عليه السلام بلطف ولما ذهب إلى بيته أخذه معه[1].

وقد عاش عليه السلام كل تلك الأحداث التي جرت من واقعة السقيفة وحتى حروب أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومن ثم

كان المؤازر والناصر لولي عصره والخليفة من بعد أبيه الإمام الحسن عليه السلام.

وقد كان للإمام الحسين عليه السلام مواقف مشهودة مع معاوية فقد وقف عليه السلام لمعاوية بالمرصاد، وحاسب ولأنه أشد الحساب ولم يستطع معاوية بدهائه وتصنعه في حلمه ومخاتلته في سياسته أن يجلب ودج الحسين عليه السلام ويكسبه إلى جنبه أو يهدا من ثورة غضبه عليه[٢].

وعاش عليه السلام حروب أبيه ضد التمرد فكان قائداً في معركة الجملة ومعركة صفين وشهد مؤامرة التحكيم التي خدع بها معاوية الرأي العام ومن ثم شهد عليه السلام معركة أخيه الإمام الحسن عليه السلام ونكث العهود التي رافقت هدنته مع معاوية، فكان عليه السلام شاهداً على كل هذا التاريخ وكانت عزيمته تقوى للاستعداد لمقاومة هذا الانحراف الخطير وعندما حاول الكوفيون حث الإمام الحسن عليه السلام على إعادة الكرة في حرب معاوية ولما لم يعطهم الإمام عليه السلام جواباً لاحترامه للعهد الذي بينه وبين خصمه توجهوا إلى الإمام الحسين عليه السلام الذي كان جوابه مماثلاً لجواب أخيه عليه السلام حيث قال لهم عليه السلام: «قد كان صلح وكانت بيعة كنت لها كارها فانتظروا ما دان هذا الرجل حياً –يعني معاوية- فإن يهلك نظرنا ونظرتم فانصرفوا عنه»[٣].

وقد ظل زعماء الكوفة يوفدون رسلهم إلى الإمام الحسين عليه السلام لغرض التأثير على موقف الإمام الحسن عليه السلام غير أن الإمام الحسين عليه السلام كان يصر على احترام المواثيق كأمرٍ لابد منه وحتى بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام أجابهم بكتاب جاء فيه: «إني لأرجو أن يكون رأي أخي في الموادعة ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً فألصقوا في الأرض، وأخفوا الشخص والتمسوا الهدى ما دام ابن هند حياً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله»[٤].

بدعة معاوية

تكونت لدى معاوية فكرة كاملة عن الرأي العام الإسلامي الذي رفض

طريقة حكمه خصوصاً في العراق والمدينة فأخذ يبلور شكلاً جديداً من الحكم اتخذ عدة أشكال من وسائل الضغط على المسلمين لتقبله وذلك باستحداث فكرة (ولاية العهد) والترويج لها والتي لاقت رفضاً شديداً في كل أقاليم الدولة غير أنته لم يكتفي بالدعوة المجرّدة فقط بل جنّد لذلك أعتى العناصر التي التفت حوله والمعروفة بانحرافها عن النهج الإسلامي.

وهنا بدأت مضايقة وحصار الإمام الحسين عليه السلام لأنه القائد الأبرز المرشح لقيادة الأمة حيث شخصت إليه أبصار المسلمين عليه السلام.

وقد اتخذ معاوية أسلوب المرحلية في فرض مبدأ (ولاية العهد) فلم يعلن بادئ الأمر عن المرشح لهذا المنصب ليرى بعينه قائمة المنافسين لهذا المنصب ليتسنى له تصفيتهم أو الإيحاء بذلك غير أنه لم يكن يأبه بمن برزوا لهذا المنصب من أمثال مروان بن الحكم أو ابن الزبير أو غيرهم بمثل ما كان عليه الأمر من معارضة الإمام الحسين عليه السلام الشديدة والتي يقف وراءها أهل العراق بالدرجة الأولى.

وبعد إعلان فكرة معاوية (بالبيعة ليزيد) ساد الغضب العارم أوساط المدينة والكوفة وكان همه الأكبر هو وضع الكوفة حيث التأييد الشامل للإمام عليه السلام، رغم أن رأي أهل المدينة جاء رافضاً لهذه الفكرة كما جاء على لسان عبد الرحمن بن أبي بكر الذي قال في جمع من أهل المدينة ورسل معاوية بحضور مروان حيث وجه إليه الخطاب بعد أن حاول الأخير تجميل طرح فكرة ولاية العهد واعتبارها حلاً إسلامياً. قال عبد الرحمن: «كذبت وكذب من أمرك بهذا والله ما يزيد بمختار ولا رضئ ولكن تريدون أن تجعلوها هرقلية، ويزيد هو يزيد القرود ويزيد الفهود ويزيد الخمور»[٥].

وجاء رد الإمام الحسين عليه السلام على خطاب معاوية الذي مدح فيه يزيد ووصفه بأوصاف تحببه من الناس فقال الإمام عليه السلام: «كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما إحتويته بعلم خاص وقد دل يزيد على موقع رأيه فخذ من يزيد مما أخذ به من

استفزازه الكلاب الهارشة عند التهارش والحمام السبق لأترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ودع ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله بزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية»[٦].

وقد كانت له عليه السلام عدة مواقف وردود جريئة على معاوية كانت أشد من الصخر عليه (راجع كتاب [الإمام الحسين استراتيجية وموقف] محمد تقي باقر)، ثم بدأت مرحلة معاوية الثانية بأخذ البيعة قسراً وتحت السيوف وظل هدفه الأول هو استحصال البيعة من الإمام الحسين عليه السلام أو ضمان سكوته عليه السلام الأمر الذي لم يتسنى له إلى آخر معركة الطف.

هلاك معاوية واستخلاف يزيد

تذكر كتب التاريخ والسيرة فترات هلاك معاوية واستخلاف ابنه يزيد على أنها أسوأ كارثة عرفها الإسلام لأنها أسست لقيم جديدة لم يعرفها المجتمع الإسلامي من قبل فاستحداث نظام الوراثة كان من مبتدعات معاوية كما أن هذا الاختيار السيء ليزيد هو ضربة قاصمة لكل القيم الإسلامية حيث لم يعرف عن الخير غير تربيته السيئة البعيدة عن الإسلام حيث عاش وترعرع في كنف أسر مسيحية وكان يجاهر بالفسق والفور في أكثر من مناسبة بل ذهب إلى أكثر من ذلك إلى الكفر بقوله (لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل).

وإذا كان الجماهير الإسلامية قد أخذت عنوة على هذا الأمر فإن للإمام الحسين عليه السلام كلمة الفصل، هذه الكلمة التي لم تكن وليدة ساعتها، فقد أنبأ عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من حديث وفي الوقت ذاته كانت كلمة يزيد وأعوانه قد اجتمعت على محاربة الإمام بكل ما أوتوا من قوة حيث كان عليه السلام العقبة الكؤود الوحيدة التي تقف أمام مشروعهم التخريبي.

بداية الثورة

ذكرنا أن الثورة قد مرت بعدة مراحل سرية وعلنية توجتها رسائل أهل الكوفة الذين أجمعوا على حث الإمام عليه السلام على القدوم إلى الكوفة حتيان بعض الخوارج أرسلوا كتباً ممالة للإمام عليه السلام فقرر عليه السلام إرسال موفده إلى هناك وموافاة الإمام عليه السلام بحقيقة الأمور في الكوفة وبدأت الأحداث تتسارع بدأً بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة حتى سفر الإمام عليه السلام باتجاه العراق وما تبعها من المعركة التي جرت يوم العاشر من محرم في أرض الطف.

لماذا الثورة

ركزت الأدبيات الإسلامية التي تناولت ثورة الإمام الحسين عليه السلام على جانب المظلومية التي لحقت بالإمام عليه السلام وأهل بيته ولم يلتفت (بعضها) إلى الجانب المشرق من هذه الثورة المقدسة التي مثلت إنعطافة تاريخية في حياة الإسلام والمسلمين ونحن إذا نسلط الضوء على أهم أسباب قيام الثورة فإننا ندعوا في الوقت نفسه إلى إعادة قراءة الثورة الحسينية بما يجعلا مشروعاً لا يختص بفئة معينة من المسلمين كما ساد هذا الاعتقاد زمناً طويلاً ووصموا الحركة الثورية بـ (الرافضية) التي تختص بمذهب أهل البيت أما الكيفية التي كان عن طريقها تبيان الأهداف الحقيقية لثورة الإمام الحسين عليه السلام فيتم عبر جمع الأحاديث الشريفة والأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله منذ اليوم الأول لولادة الإمام الحسين عليه السلام وكيف أنه عليه السلام كان معدّاً لمهمة خاصة بيّنها الرسول صلى الله عليه وآله وأكد عليها وكان صلى الله عليه وآله يقيم المآتم على الإمام في حياته، كما أن التركيز على حياة وسيرة الإمام عليه السلام قبل واقعة الطف وكف أن سيرته بعيدة كل البعد عن مطامع الرئاسة الشخصية والحكم، إضافة إلى فرز القيم الأخلاقية التي مثلته واقعة الطف بما فيها الجوانب التربوية والاجتماعية من أجل صياغة هذه المثل والقيم على شكر دساتير صادرة عن إمام معصوم متصل بالرسالة السمحاء.

طلب الإصلاح

إن قراءة متأنية للأحداث التي سبقت واقعة الطف تجعلنا أمام معركة لا بد من وقوعها فمن جهة التعنت الذي أبداه معاوية في اختياره السيء ليزيد لإمارة المسلمين ومن جهة أخرى وجود الإمام المعصوم الذي أخبره رسول الله ﷺ بهذه الحوادث مفصلةً ما جعله أكثر تهيئاً لهذه المعركة المصيرية الفاصلة، ففي الخبر عن أم سلمة أنها قالت للإمام عليه السلام لما أراد الخروج «لا تحزنني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق ي أرض يقال لها كربلاء، وعندي تربتك في قارورة دفعتها إلى النبي ﷺ»[٧]. فأجابها الحسين عليه السلام: «يا أماه وأنا أعلم إني مقتول، مذبوح ظلماً وعدواناً وقد شاء عز ودجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين، مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً»[٨].

وفي وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية يثبّت الإمام عليه السلام سبب الخروج بقوله عليه السلام: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»[٩].

إذن فالهدف الأول للإمام هو التغيير وإعادة الحكم الإسلامي إلى سيرة الرسول الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام ولعل سائل يسأل كيف يسعى لهذا الهدف وهو يعرف نتائج المعركة سلفاً كما أخبره بها جده رسول الله ﷺ؟ ومن هذا الجواب نفسه تظهر لنا الأسباب الحقيقية للثورة فقيام الإمام الحسين عليه السلام في هذا الوقت هو التغيير سواء انتصر عسكيراص أم لم ينتصر فإن الثورة قد أعطت علامة للأمة بأن الوضع الشاذ الذي عاشته الأمة ردحاً من الزمن كانت أمراً استثنائياً حيث لم تتح الظروف التي كانت في زمن الإمام عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام بالقيام حينها لمصلحة الأمة الحديثة العهد

بالإسلام وللأدوار التي رسمها لهما رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعندما وصل وضع التردي في الأمة إلى حالة لا يمكن السكوت عنها فإن الثورة أصبحت حتمية وإذا لم يقف الإمام عليه السلام بوجهها هذه المرة فإن الإسلام يضيع وتمحى معالمه ولا تبقى أي قدسية لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله لذا فصلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بين نماذج الحكم الجديدة وبين الخلافة الحقة المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام. وقد خابت محاولات الأمويين في إشاعتهم من أن عدم طاعة إمام الزمان هو خروج عن الدين قد انقلبت عليهم وفم الناس مغزى الحديث الشريف ومن هو الإمام المفروض الطاعة.

إذن فالثورة الحسينية كانت إحدى ضرورات هذه المرحلة ولو لم يقم الإمام الحسين عليه السلام بذلك لكان الدور للإمام زين العابدين عليه السلام ومن جاء من بعده من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

التغيير

لقد حملت العقود السابقة لبيعة يزيد من الانحراف ما تشهد به تواريخ المسلمين من اغتصاب الخلافة من أصحابها الحقيقيين الذين نصّبهم رسول الله صلى الله عليه وآله لقيادة الأمة ومنها حديث غدير خم الشهير بتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله والامام أمير المؤمنين عليه السلام قد سرحا بذلك مراراً وتكراراً كدرس للأمة في فهم حقائق الأمور التي سيؤول إليها وضع المسلمين من بعدهم صلوات الله عليهم.

ولما كانت وصايا الرسول صلى الله عليه وآله في ضرورة الوحدة ومخافة تفقر المسلمين وارتدادهم هي التي منعت أمير المؤمنين من الانتصار لحقه، فإن اختلاف الحالة في زمن العهود الثلاثة التي سبقت ذلك ظلت مراقبة لعدة أسباب منها:

١) وجود أمير المؤمنين عليه السلام وعدم تمكن الخلفاء الثلاثة من الابتعاد عنه وعن توصياته عليه السلام.

٢) وجود الصحابة الذين كانوا ينشرون أحاديث رسول الله ﷺ بين الناس بالقدر الذي أبقى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في منى عن التحريف الذي حاول البعض دسه فيهما.

٣) قرب عهد الخلفاء بالرسالة وعدم تمكنهم من تغيير المفاهيم التي أرساها رسول الله ﷺ مرة واحدة لأنها انتشرت بين المسلمين.

وكان لزاماً على أمير المؤمنين عليه السلام أن يحاول إعادة المسيرة إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ غير أن الظروف التي عصفت بعهده حالت دون إكمال المهمة فكان الدور قد تحول إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في عملية إكمالها الشاقة فكانت معركة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية هي الإشارة الأولى للإيذان ببدء هذه العملية التي لم يكن الإمام الحسين عليه السلام بعيداً عن أحداثها والتي كانت فيما بعد منهجاً له عليه السلام ودستوراً لمهمة التغيير والتي بدأت من المدينة حتى كربلاء.

إعادة صياغة الوعي الإسلامي

نشر الأمويون مبدأ قدسية الحاكم وإحكام مبدأ السيف بدل المقاييس الإسلامية التي كانت سائدة وكذلك أعادوا العصبية القبلية والقومية واتخذوها شعاراً للحكم في عهد معاوية وحتى في عهد عثمان من قبل مما ألغى الصفة الدينية للخليفة. ومن هنا فإن الثورة على هذا الواقع الفاسد هي إعادة تشكيل للقيم الدينية التي يقدسها المسلمون.

وقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام هذه الأهداف منذ اليوم الأول من خروجه من المدينة فعند لقاءه عليه السلام بمروان وعند محاولة الأخير تحسين صورة أمر بيعة يزيد في عين الإمام عليه السلام أجابه عليه السلام قائلاً: على الإسلام السلام إذا بليت براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنه

فابتلاهم الله بيزيد الفاسق[١٠].

فالهدف هو إعادة الإسلام إلى سابق عهده رغم معرفة الإمام القاطعة باستشهاده عن طريق الأخبار التي وردته عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام ففي رده عليه السلام عل أم سلمة عندما أخبرته بخبر القارورة ومحاولة منعه من الذهاب أجابها عليه السلام:

يا أماه، إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً وإن لم أذهب غداً ذهبت بعد غد وما من الموت والله بد، وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك وإن أحببت يا أماه أن أريك مضجعي ومكان صحبي، فطلبت منه ذلك فأراها تربة أصحابه، إلى آخر الخبر[١١].

وقد تواترت عدة أخبار ذكرتها المقاتل وكتب السير على أن الإمام كان قد أخبر بمقتله وأصحابه وسبي نساءه، ورب سائل يسأل إذا كان الإمام عليه السلام يعرف مصيره في هذه المعركة فلماذا أخذ أهله ونساءه؟ وقد تبين جواب ذلك بعد الثورة الحسينية وبعد أحداث الطف بأيام ولا زالت أصداءه تتناقلها الكتب إلى يومنا هذا فقد أثبت الإمام الحسين عليه السلام بأن القائمين على الحرب لا يطلبون سوى الحكم البعيد عن الإسلام وقيمه بل وحتى عن قيم العرب كما يذكر سبط بن الجوزي عن جده أنه كان يقول: (ليس العجب يقتل ابن زياد حسيناً وإنما العجب كل العجب أن يضرب يزيد بثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على أعقاب الجمال)[١٢].

وكان هذا بحد ذاته أن يجعل المسلمين يعيون حساباتهم في إمرة يزيد وفي الخلافة كلها بهذا المعنى البعيد عن أي قيم إسلامية وكان هذا المغزى الرئيسي لاستصحاب الإمام الحسين عليه السلام لعياله إلى كربلاء، وقد ساهمت هذه الأخلاقيات الأموية في تقويض شوكتهم وظلوا يحاولون استجداء التأييد لخوفهم من انقلاب الأمة عليهم وهو ما حدث بالفعل في الثورات والانتفاضات التي صفت جميع من شارك في جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام.

تثبيت مبدأ الإمامة

بدات بوادر تشكيل وعي إسلامي معارض في كل أرجاء الدولة الإسلامية صاحب ذلطك توجه إلى نوع من التنظيم لهذا الإتجاه المعارض خصوصاً في المدينة والعراق بينما ظلت باقي أطراف الدولة تعيش حالة الهامشية في موقفها من الأحداث، فجاء الإمام الحسين عليه السلام ليعلن مبادئ نص عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر الأمة بخطجورة الانحراف أو التخلف عنها كما في حديث الثقلين المشهور، فكانت رسالة الإمام وعنوان دعوته توضيح ما أبهم على غفهام الأمة، ففي الطريق إلى كربلاء صلى بجماعة معه بوجود جيش الحر بن يزيد الرياحي الذي قاطع الإمام ومنعه من الوصول إلى كربلاء فخطب الامام عليه السلام بعد الصلاة قائلاً:

أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله أولى بولاية هذا الأمر من المدعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان[١٣]، وقد ردد سلام الله عليه أهلية وأحقية أهل البيت عليهم السلام لهذا المنصب الإلهي في عدة مناسبات كما أنه انبأ ببقاء هذه الإمامة إلى عهد القائم فعندما يخاطب أصحابه بقوله عليه السلام: إني غداً أقتل وكلكم تقتلون معي، ولا يبقى منكم أحد حتى القاسم وعبد الله الرضيع إلا وليي علياً زين العابدين، لأن الله لم يقطع نسلي منه وهو أبو الأئمة الثمانية[١٤].

وهنا وضع الإمام عليه السلام النقاط على الحروف مجدداً فبعد التحديد الذي بينه رسول الله صلى الله عليه وآله بإمامتهموبعد استشهاد علي والامام الحسنوكذلك قرب استشهاده عليه السلام فإنه ينبئ باستمرار الإمامة من نسله وفي شخص الإمام زين العابدين وهو ما يعتمد عليه بعض العلماء في إثبات تحديد الأئمة عليهم السلام لأنه ورغم علم الأمويين بأن الإمام زين العابدين هو القائم بالأمر بعد أبيه لم يستطيعوا أن يقتلوه ولم يكن لهم ذلك ن الله ناصره ومعده للخلافة التي لا بد من استكمال سلسلتها الشريفة.

دروس من الثورة

أما الدروس المستفادة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ووقفته البطولية يوم الطف فهي أكثر مما تحصى فقد أعطت من دروس الأخلاق والإباء والتضحية م يعجز الوصف عن إحصاء مفرداتها فأصبح الحسين عليه السلام رمزاً للثائرين في كل مكان من الأرض وفي كل الأديان والملل فها هي شخصية الإمام عليه السلام تلهب الثورة في قلب الثائر الهندي غاندي الذي يقول: تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر، ومن عجائب هذه الثورة المقدسة هو استمراريتها فبعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة لا تزال شعلتها تتقد في نفوس المؤمنين فأقيمت على منهجها دولاً وممالك نشرت الخير والإصلاح وأضحت مناراً للمستضعفين ولطلاب الحرية على مر العصور.

الخلاصة

ومما تقدم نستنتج أن أسس قيام الثورة والنتائج التي رسمتها وطبعتها على مسار التاريخ الإسلامي شكلت نهجاً إسلامياً متميزاً كالاستقلالية التي تمثلت بالفقه الإسلامي الذي يختص سنده بأئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله والذي استقل فيما بعد على شكل مذهب فقهي يعتقد به نصف المسلمين.

كما إن الثورة وضعت حداً فاصلاً بين ما هو اسلامي وبين المبادئ الدخيلة على هذا الدين القيم وأزاحت الستار عن حقبة تاريخية إسلامية كانت تعد مرجعاً إسلامياً، فعزت حالة الخلل والانحراف وفرزت السلبيات التي رافقت الدعوة الإسلامية منذ نشوءها.

كما إن الأثر الأكثر أهمية الذي رسخته النهضة الحسينية المقدسة هو استمرار الوعي الثوري الإسلامي الذي يرفض التطبيق الخاطئ للمبادئ السياسية الإسلامية التي اتخذت من الثورة الحسينية شعاراً لها إلى يومنا هذا.

الهوامش:

[١] الإصابة: ج١ ص٣٣٣.

[٢] مع الحسين في نهضته (أسد حيدر) ص٢١.

[٣] المصدر السابق: ص٣٧.

[٤] أنساب الأشراف، وتاريخ ابن عساكر: ج٥٥.

[٥] الخوارزمي: ج١ ص١٧٢.

[٦] مع الحسين في نهضته: ص٥٤.

[٧] بحار الأنوار: ج٤٣.

[٨] المصدر نفسه.

[٩] مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٨.

[١٠] المصدر السابق: ص١٨٥.

[١١] دار السلام: ج١ ص١٠٢.

[١٢] من وحي الثورة الحسينية: ص٥٠ هاشم معروف الحسني.

[١٣] و[١٤]: نفس المهموم: ص١٢٢ وفي أسرار الشهادة.

الأَرْبَعِينُ الحُسَيْنِيُّ

أَصَالَةُ الشَّعِيرَةِ وَعَظَمَةُ المُعْطَيَاتِ

قِرَاءَةٌ فِي الجُذُورِ الحَدِيثِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ

❖ **الشيخ عز الدين الكاظمي** [1]

(١) باحث اسلامي/ حوزة النجف الاشرف

مـن النـواميس المطـردة الاعتنـاء بالفقيـد بعـد أربعـين يومـا مضـين مـن وفاتـه بإسـداء البـر إليـه و تأبينـه و عـدّ مزاياه في حفلات تعقد و ذكريات تدوّن تخليـدا لـذكره علـى حـين أن الخـواطر تكاد تنساه و الأفئدة أوشكت أن تهمله فبذلك تعاد إلى ذكره البائد صورة خالدة بشعر رائق تتناقله الألسن و يسطع فـي القلـوب فتمـر الحقـب و الأعـوام و هـو علـى جدتـه! أو خطـاب بليـغ تتضـمنه الكتب و المدونات حتى يعود من أجزاء التاريخ التي لا يبليها الملـوان، فالفقيـد يكون حيا كلما تليت هاتيك النتف مـن الشعر أو وقف الباحـث علـى مـا ألقيـت فيـه مـن كلمـات تأبينيـة بـين طيـات الكتـب فيقـتص أثـره فـي فضـائله و فواضـله و هـذه السـنّة الحسـنة تـزداد أهمية كلما ازداد الفقيد عظمة و كثرت فضائله، و إنها في رجـالات الاصـلاح و المقتدى بهم مـن الشـرائع أهـم و آكـد لأن نشر مزاياهم و تعاليمهم يحدو إلى اتباعهم و احتذاء مثالهم فـي الاصـلاح و تهذيب النفوس.

و ما ورد عن أبي ذر الغفـاري و ابـن عبــاس عــن النبــي صلى الله عليه وآله أن الأرض لتبكي على المؤمن أربعـين صـباحا[1] وعـن زرارة عـن أبـي عبـد اللّـه عليه السلام أن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صــباحا بالــدم و الأرض بكــت عليــه أربعين صباحا بالسواد و الشـمس بكـت عليه أربعين صباحا بالكسوف و الحمرة و الملائكة بكت عليه أربعـين صـباحا و ما اختضبت امرأة منـا و لا ادهنـت و لا اكتحلـت و لا رجلـت حتـى أتانـا رأس عبيد اللّه بن زياد و ما زلنا في عبرة مـن بعده[2].

يؤكد هذه الطريقة المألوفة و العادة المستمرة بين الناس من الحداد على الميت أربعين يوما فإذا كان يوم الأربعين أقيم على قبره الاحتفال بتأبينه يحضره أقاربه و خاصته و أصدقاؤه، و هذه العادة لم يختص بها المسلمون، فإن النصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة و يعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنازة و يفعلون ذلك في نصف السنة و عند تمامها و اليهود يعيدون الحداد على فقيدهم بعد مرور ثلاثين يوما و بمرور تسعة أشهر و عند تمام السنة[٣] كل ذلك إعادة لذكراه و تنويها به و بآثاره و اعماله إن كان من العظماء ذوي الآثار و المآثر.

و على كل حال فإن المنقب لا يجد في الفئة الموصوفة بالإصلاح رجلا اكتنفته المآثر بكل معانيها و كانت حياته و حديث نهضته و كارثة قتله دعوة إلهية و دروسا اصلاحية و انظمة اجتماعية و تعاليم أخلاقية و مواعظ دينية إلا سيد شباب أهل الجنة شهيد الدين شهيد السلام و الوئام شهيد الأخلاق و التهذيب «الحسين عليه السلام» فهو أولى من كل أحد بأن تقام له الذكريات في كل مكان و تشد الرحال للمثول حول مرقده الأقدس في يوم الأربعين من قتله حصولا على تلكم الغايات الكريمة.

و إنما قصروا الحفلات الأربعينية بالأربعين الأول في سائر الناس من جهة كون مزايا أولئك الرجال محدودة منقطعة الآخر بخلاف سيد الشهداء فإن مزاياه لا تحد و فواضله لا تعد و درس أحواله جديد كلما ذكر و اقتصاص أثره يحتاجه كل جيل، فإقامة المآتم عند قبره في الأربعين من كل سنة احياء لنهضته و تعريف بالقساوة التي ارتكبها الأمويون و لفيفهم، و مهما أمعن الخطيب أو الشاعر في قضيته تفتح له أبواب من الفضيلة كانت موصدة عليه قبل ذلك.

و لهذا اطردت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعين من كل سنة و لعل رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام أن السماء بكت على

الحسين أربعين صباحا تطلع حمراء و تغرب حمراء[٤] تلميح إلى هذه العادة المألوفة بين الناس.

و حديث الإمام الحسن العسكري علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى و خمسين و زيارة الأربعين و الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم و التختم في اليمين و تعفير الجبين[٥].

يرشدنا إلى تلك العادة المطردة المألوفة للناس فإن تأبين سيد الشهداء و عقد الاحتفالات لذكره في هذا اليوم إنما يكون ممن يمت به بالولاء و المشايعة و لا ريب في أن الذين يمتون به بالمشايعة هم المؤمنون المعترفون بإمامته، إذا فمن علامة إيمانهم و ولائهم لسيد شباب أهل الجنة المنحور في سبيل الدعوة الالهية المثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الأطهر لإقامة المأتم و تجديد العهد بما جرى عليه و على صحبه و أهل بيته من الفوادح.

و التصرف في هذه الجملة «زيارة الأربعين» بالحمل على زيارة أربعين مؤمنا التواء في فهم الحديث و تمحل في الاستنتاج يأباه الذوق السليم مع خلوه عن القرينة الدالة عليه و لو كان الغرض هو الارشاد إلى زيارة أربعين مؤمنا لقال عليه السلام: «و زيارة أربعين» فالاتيان بالألف و اللام العهدية للتنبيه على أن زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نص عليها الحديث بأنها من علائم الإيمان و الموالاة للأئمة الاثني عشر.

ثم إن الأئمة من آل الرسول عليهم السلام و إن كانوا كلهم أبواب النجاة و سفن الرحمة و بولائهم يعرف المؤمن من غيره و قد خرجوا من الدنيا مقتولين في سبيل الدعوة الالهية موطنين أنفسهم على القتل امتثالا لأمر بارئهم جل شأنه الموحى به إلى جدهم الرسول صلى الله عليه وآله و قد أشار إليه أبو محمد الحسن ابن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله أن هذا الأمر يملكه منا اثنا عشر إماما ما منهم إلا مقتول أو مسموم.

فالواجب اقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كل واحد منهم و حديث الإمام العسكري لم يشتمل

على قرينة لفظية تصرف هذه الجملة (زيارة الأربعين) إلى خصوص الحسين عليه السلام إلا أن القرينة الحالية أوجبت فهم العلماء الاعلام من هذه الجملة خصوص زيارة الحسين لأن قضية سيد الشهداء هي التي ميزت بين دعوة الحق و الباطل و لذا قيل الإسلام بدؤه محمدي و بقاؤه حسيني و حديث الرسول صلى الله عليه وآله حسين مني و أنا من حسين يشير إليه لأن ما قاساه سيد الشهداء إنما هو لتوطيد أسس الإسلام و اكتساح أشواك الباطل عن صراط الشريعة و تنبيه الأجيال على جرائم أهل الضلال هو عين ما نهض به نبي الإسلام لنشر الدعوة الإلهية.

فمن أجل هذا كله لم يجد أئمة الدين من آل الرسول ندحة إلا لفت الأنظار إلى هذه النهضة الكريمة لأنها اشتملت على فجائع تفطر الصخر الأصم و علموا أن المواظبة على اظهار مظلومية الحسين تستفز العواطف و توجب استمالة الأفئدة نحوهم فالسامع لتلكم الفظائع يعلم أن الحسين إمام عدل لم يرضخ للدنايا و أن إمامته موروثة له من جده و أبيه الوصي و من ناواه خارج عن العدل، و إذا عرف السامع أن الحق في جانب الحسين و أبنائه المعصومين كان معتنقا طريقتهم و سالكا سبيلهم.

و من هنا لم يرد التحريض من الأئمة على اقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كل واحد منهم، حتى نبي الإسلام لكون تذكار كارثته عاملا قويا في ابقاء الرابطة الدينية و أن لفت الأنظار نحوها أمس في احياء أمر المعصومين المحبوب لديهم التحدث به (أحيوا أمرنا و تذاكروا في أمرنا).

و على كل فالقارىء الكريم يتجلى له اختصاص زيارة الأربعين بالمؤمنين حينما يعرف نظائرها التي نص عليها الحديث.

فإن **الأول** منها: و هو صلاة إحدى و خمسين ركعة التي شرعت ليلة المعراج و بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله اقتصر فيها على خمس فرائض في اليوم و الليلة عبارة عن سبع عشرة ركعة للصبح و الظهرين و العشاءين و النوافل

الموقتة لها مع نافلة الليل أربع و ثلاثون ثمان للظهر قبلها و ثمان للعصر قبلها و أربع بعد المغرب و اثنان بعد العشاء تعدان بواحدة و اثنان قبل الصبح و إحدى عشرة ركعة نافلة الليل مع الشفع و الوتر و بإضافتها إلى الفرائض يكون المجموع إحدى و خمسين ركعة و هذا مما اختص به الإمامية فإن أهل السنة و إن وافقوهم على عدد الفرائض إلا أنهم افترقوا في النوافل ففي فتح القدير لابن همام الحنفي ج ١ ص ٣١٤ أنها ركعتان قبل الفجر و أربع قبل الظهر و اثنتان بعدها و أربع قبل العصر و إن شاء ركعتين و ركعتان بعد المغرب و أربع بعدها و إن شاء ركعتين فهذه ثلاث و عشرون ركعة و اختلفوا في نافلة الليل أنها ثمان ركعات أو ركعتان أو ثلاث عشر أو أكثر و حينئذ فالمجموع من نوافل الليل و النهار مع الفرائض لا يكون إحدى و خمسين فإذا تكون إحدى و خمسون من مختصات الإمامية.

الثاني: مما تعرض له الحديث الجهر بالبسملة فإن الإمامية تديّنوا إلى اللّه تعالى به وجوبا في الصلاة الجهرية و استحبابا في الصلاة الاخفاتية تمسكا بأحاديث أئمتهم عليهم السلام و في ذلك يقول الفخر الرازي: ذهبت الشيعة إلى أن من السنة الجهر بالتسمية في الصلاة الجهرية و الاخفاتية و جمهور الفقهاء يخالفونهم و قد ثبت بالتواتر أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية و من اقتدى في دينه «بعلي» فقد اهتدى و التدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار[٦] و كلمة الرازي لم يهضمها أبو الثناء الآلوسي فتعقبها بقوله: لو عمل أحد بجميع ما يزعمون تواتره عن الأمير كفر فليس إلا الإيمان ببعض و الكفر ببعض و ما ذكره من أن من اقتدى في دينه (بعلي) فقد اهتدى مسلم لكن إن سلم لنا خبر ما كان عليه علي عليه السلام و دونه مهامه فيح[٧].

و لا يضر الشيعة تهجم الآلوسي و غيره بعد أن رسخت اقدامهم على الولاء لسيد الأوصياء عليه السلام الذي يقول له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يا علي ما عرف اللّه تعالى إلا أنا و أنت و ما عرفني إلا اللّه و أنت و ما عرفك إلا اللّه و أنا[٨].

إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه

فاسمعه من هل أتى يا ذا الغبا و كفى[٩]

و خالف أهل السنة في مسألة الجهر، ففي المغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٧٨ و بدائع الصنائع للكاساني ص ٢٠٤ و شرح الزرقاني على مختصر أبي الضياء في فقه مالك ج ١ ص ٢١٦ أن الجهر غير مسنون في الصلاة.

الثالث: مما تعرض له الحديث التختم باليمين و قد التزم به الإمامية تدينا بروايات أئمتهم عليهم السلام و خالفهم جماعة من السنة قال ابن الحجاج المالكي: إن السنة أوردت كل مستقذر يتناول بالشمال و كل طاهر يتناول باليمين و لأجل هذا المعنى كان المستحب في التختم أن يكون التختم بالشمال فإنه يأخذ الخاتم بيمينه و يجعله في شماله[١٠] و يحكي ابن حجر أن مالكا يكره التختم باليمين و إنما يكون باليسار و بالغ الباجي من المالكية بترجيح ما عليه مالك من التختم باليسار[١١] و قال الشيخ إسماعيل البروسوي ذكر في عقد الدرر أن السنة في الأصل التختم في اليمين و لما كان ذلك شعار أهل البدعة و الظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا[١٢].

الرابع: مما ذكره الحديث «التعفير» و التعفير في اللغة وضع الشيء على العفر و هو التراب و الجبين في هذا الحديث الشريف إن أريد منه الجبهة كما استظهره الشيخ يوسف البحراني في الحدائق مدعيا كثرة الاستعمال بذلك في لسان أهل البيت عليهم السلام و قد ورد في التيمم فيكون الغرض بيان أن الجبهة في السجود لا بد أن تكون على الأرض لأن أهل السنة لم يلتزموا بوضعها على الأرض فإن أبا حنيفة و مالكا و أحمد في إحدى الروايتين عنه جوزوا السجود على كور العمامة[١٣] و فاضل الثوب[١٤] والملبوس و جوز الحنفية وضعها على الكف مع الكراهة[١٥] و جوزوا السجود على الحنطة و الشعير و السرير و ظهر مصل أمامه يصلي بمثل صلاته[١٦] وإن أريد نفسه فيكون الغرض من ذكره

الارشاد إلى أن الراجح في سجدة الشكر تعفير الجبين و أنه للتذليل و البعد عن الكبرياء و من هذه الجملة في الحديث استظهر صاحب المدارك رجحان تعفير الجبينين أيضا وإليه أشار السيد بحر العلوم قدس سره في المنظومة قال في سجدة الشكر:

و الخد أولى و به النص جلا
و في الجبين قد أتى محتملا

و قد ورد تعفير الخدين في سجدة الشكر[١٧] و به استحق موسى بن عمران عليه السلام الزلفى من المناجاة[١٨] و لم يخالف الإمامية في التعفير سواء أريد من الجبين الجبهة أو نفسه و أهل السنة لم يلتزموا بالتعفير في الصلاة أو سجدة الشكر مع أن النخعي و مالكا و أبا حنيفة كرهوا سجدة الشكر و إن التزم بها الحنابلة[١٩] و الشافعي[٢٠] عند حلول كل نعمة أو زوال نقمة.

الخلاصة في علائم المؤمن

لقد تجلى مما ذكرناه في هذه الأمور التي نص عليها الحديث بأنها من علائم الإيمان أن المراد من (زيارة الأربعين) فيه ارشاد الموالين لأهل البيت إلى الحضور في مشهد الغريب المظلوم سيد الشهداء عليه السلام لاقامة العزاء و تجديد العهد بذكر ما جرى عليه من القساوة التي لم يرتكبها أي أحد يحمل شيئا من الإنسانية فضلا عن الدين و الحضور عند قبر الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله من أظهر علائم الإيمان.

و لا ينقضي العجب ممن يتصرف في هذه الجملة بالحمل على زيارة أربعين مؤمنا مع عدم تقدم إشارة إليه و لا قرينة تساعد عليه ليصح الاتيان بالألف و اللام للعهد مع أن زيارة أربعين مؤمنا مما حث عليها الإسلام فهي من علائمه عند الشيعة و السنة و لم يخص بها المؤمنون ليمتازوا عن غيرهم، نعم زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من قتله مما يدعو إليها الإيمان الخالص لأهل البيت عليهم السلام ويؤكدها الشوق الحسيني و معلوم أن الذين يحضرون في الحائر الأطهر (بعد

مرور أربعين) يوما من مقتل سيد شباب أهل الجنة خصوص المشايعين له السائرين على أثره.

و يشهد له عدم تباعد العلماء الاعلام عن فهم زيارة الحسين في الأربعين من صفر من هذا الحديث المبارك منهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في التهذيب ج ٢ ص ١٧ باب فضل زيارة الحسين عليه السلام فإنه بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر المقيد بأوقات خاصة و منها يوم عاشوراء و بعده روى هذا الحديث و في مصباح المتهجد ص ٥٥١ طبع بمبئي ذكر شهر صفر و ما فيه من الحوادث ثم قال و في يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد اللّه عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله و ورود جابر بن عبد اللّه الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد اللّه عليه السلام فكان أول من زاره من الناس و هي زيارة الأربعين فروي عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال علامات المؤمن خمس الخ. و قال أبو الريحان البيروني في العشرين من صفر رد الرأس إلى جثته فدفن معها. و فيه زيارة الأربعين و مجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام[٢١].

و قال العلامة الحلي في المنتهى كتاب الزيارات بعد الحج: يستحب زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر و روى الشيخ عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس إلى آخر الحديث و في الاقبال للسيد رضي الدين علي بن طاووس عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر قال: روينا بالإسناد إلى جدي أبي جعفر فيما رواه بالإسناد إلى مولانا الحسن بن علي العسكري أنه قال: علامات المؤمن خمس الخ.

و نقل المجلسي اعلى اللّه مقامه في مزار البحار هذا الحديث في باب فضل زيارة الحسين يوم الأربعين و في الحدائق للشيخ يوسف البحراني في الزيارات بعد الحج قال و زيارة الحسين في العشرين من صفر من علامات المؤمن. و حكى الشيخ عباس القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب و

مصباح المتهجد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعين من دون تعقيب باحتمال إرادة أربعين مؤمنا.

و استبعاد بعضهم ارادة زيارة الأربعين من جهة عدم تعرض الإمام عليه السلام للآثار الأخروية المترتبة على الزيارة مع أن أهل البيت عليهم السلام عند الحث على زيارة المظلوم و غيره من أئمة الهدى عليهم السلام يذكرون ما يترتب عليها من الثواب «لا يصغى إليه» فإن الإمام في هذا الحديث إنما هو بصدد بيان علائم المؤمن التي يمتاز بها عن غيره و جعل منها زيارة الأربعين على ما اوضحنا بيانه و لم يكن بصدد بيان ما يترتب على الزيارة من الأثر.

و استحباب زيارته عليه السلام في العشرين من صفر نص عليه الشيخ المفيد في مسار الشيعة و العلامة الحلي في التذكرة و التحرير و ملا محسن الفيض في تقويم المحسنين و تفسير الشيخ البهائي في توضيح المقاصد الأربعين بالتاسع عشر من صفر مبني على حساب يوم العاشر من الأربعين و هو خلاف المتعارف.

و افتك جندا يستثير و يزأر
فقد المواكب إنها لك عسكر
لا تسلمن إلى الدنية راحة
ما كان أسلمها لذل (حيدر)
و ابعث حياة الناهضين جديدة
فيها الاباء مؤيد و مظفر
و ارسم لسير الفاتحين مناهجا
فيها عروش الطائشين تدمر
إن لم تلبك ساعة محمومة
ذمت فقد لبت نداءك أعصر
قم و انظر (البيت الحرام) و نظرة
أخرى لقبرك فهو (حج أكبر)
أصبحت مفخرة الحياة و حق
لو فخرت به فدم الشهادة مفخر
قدست ما أعلى مقامك رفعة
أخفيه خوف الظالمين فيظهر
شكت الامارة حظها و استوحشت
أعوادها من عابثين تأمروا
و تنكرت للمسلمين خلافة
فيها يصول على الصلاح المنكر
سوداء فاحمة الجبين ترعرعت
فيها القرود و لوثتها الأنمر
سكبت على نغم الاذان كؤوسها
وعلى الصلاة تديرهن و تعصر
تلك المهازل يشتكيها مسجد
ذهبت بروعته و يبكي منبر

فشكت إليك و ما شكت إلا إلى ... الحصى عددا و ما إن يحصر
بطل يغار على الصلاح و يثأر ... لبيك ظام حلأوه عن الروى
تطوى الفضائل ما عظمن و هذه ... وبراحتيه من المكارم أبحر
أم الفضائل كل عام تنشر ... هذي دموع المخلصين فروّ
جرداء ذابلة الغصون سقيتها ... من عبراتها كبدا تكاد تفطر
بدم الوريد فطاب غرس مثمر ... و اعطف على هذاي القلوب فإنها
و على الكريهة تستفزك نخوة ... ودت لو انك في الأضالع تقبر
حمراء داميةً و يوم أحمر ... يتزاحمون على استلام (مشاعر)
شكت الشريعة من حدود بدلت ... من دون روعتها الصفا و المشعر
فيها و احكام هناك تغير ... ركبوا لها الأخطار حتى لو غدت
سلبت محاسنها (أمية) فاغتدت ... تبرى الأكف أو الجماجم تنثر
صورا كما شاء الضلال تصور ... وافوك (يوم الأربعين) و ليتهم
عصفت بها الأهواء فهي أسيرة ... حضروك يوم الطف إذ تستنصر
تشكو و هل غير (الحسين) محرر؟ ... وجدوا سبيلكم النجاة و إنما
وافى بفتيته الصباح فساقهم ... نصبوا لها جسر الولاء ليعبروا
للدين قربان الإله فجزروا ... و تأملوك لساعة مرهوبة
أدى الرسالة ما استطاع ... إما الحميم بها و إما الكوثر
وإنما تبليغها بدم يطل و يهدر ... و سيعلم الخصمان إن وافوك
فبذمة الاصلاح جبهة ماجد ... من يرد المعين و من يذاد و يصدر[٢٢]
تدمى و وضاح الجبين يعفر
لبيك منفردا أحيط بعالم تحصي

الهوامش

[١] مجموعة الشيخ ورام ج ٢ ص ٢٧٦ و البحار ج ٢ ص ٦٧٩ باب شهادة عليّ عن مناقب ابن شهر اشوب.

[٢] مستدرك الوسائل للنوري ص ٢١٥ باب ٩٤.

[٣] نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١ ص ٦٣: ٢٦٧.

[٤] كامل الزيارات ص ٩٠ باب ٢٨.

[٥] رواه الشيخ الطوسي في التهذيب ج ٣ ص ١٧ في باب فضل زيارة الحسين عليه السلام عن أبي محمد العسكري عليه السلام و رواه في مصباح المتهجد ص ٥٥١ طبع الهند.

[٦] مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٠٧.

[٧] روح المعاني ج ١ ص ٤٧.

[٨] المحتضر ص ١٦٥.

[٩] في شذرات الذهب لابن العماد ج ٤ ص ١٤٠ كان بعض الحنابلة ينشدهما على المنبر ببغداد.

[١٠] المدخل ١ ص ٤٦ آداب الدخول في المسجد.

[١١] الفتاوى الفقهية الكبرى ج ١ ص ٢٦٤ في اللباس.

[١٢] حكاه الحجة الأميني في الغدير ج ١٠ ص ٢١١ عن تفسير روح البيان ج ٤ ص ١٤٢.

و ليس هذا بأول مخالفة للإمامية ففي المهذب لأبي إسحاق الشيرازي ج ١ ص ١٣٧ و الوجيز للغزالي ج ١ ص ٤٧ و المنهاج للنووي ص ٢٥ و شرحه تحفة المحتاج لابن حجر ج ١ ص ٥٦٠ و عمدة القاري للعيني شرح البخاري ج ٤ ص ٢٤٨ و الفروع لابن مفلح ج ١ ص ٦٨١ و المغني لابن قدامة ج ٢ ص ٥٠٥ التسطيح أشبه بشعار أهل البدع و في رحمة الأمة باختلاف الأئمة على هامش الميزان للشعراني ج ١ ص ٨٨ أن السنة تسطيح القبور و لما صار شعار الرافضة كان الأولى مخالفتهم بالتسنيم «و من ذلك» الصلاة على أهل البيت مستقلا ففي الكشاف للزمخشري في الأحزاب ٥٦ إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ أنه مكروه لأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض و قد قال صلى الله عليه وآله: لا تقفن مواقف التهم «و من ذلك» ما في فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ١٣٥ كتاب الدعوات باب هل

يصلى على غير النبي قال: اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي فقيل يشرع مطلقا و قيل تبعا و لا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة اه «و من ذلك» ما في شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٣ كان بعض أهل العلم يرخي العذبة من قدام من الجانب الأيسر و لم أر ما يدل على تعيين الأيمن إلا في حديث ضعيف عند الطبراني و لما صار شعارا للإمامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم اه.

[١٣] الميزان للشعراني ج ١ ص ١٣٨.

[١٤] الهداية لشيخ الإسلام المرغيناني ج ١ ص ٣٣.

[١٥] الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ١٨٩.

[١٦] البحر الرائق لابن نجيم ج ١ ص ٣١٩.

[١٧] الكافي على هامش مرآة العقول ج ٣ ص ١٢٩ و الفقيه للصدوق ص ٦٩ و التهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٢٦٦ في التعقيب.

[١٨] الفقيه للصدوق ص ٦٩ في التعقيب.

[١٩] المغني لابن قدامة ج ١ ص ٦٢٦ و الفروع لابن مفلح ج ١ ص ٣٨٢.

[٢٠] كتاب الأم ج ١ ص ١١٦ و الوجيز للغزالي ج ١ ص ٢.

[٢١] الآثار الباقية ص ٣٣١.

[٢٢] للعلامة الشيخ عبد المهدي مطر النجفي.

الرِّوَايَاتُ التَّارِيخِيَّةُ فِي ثُبُوتِ الأَرْبَعِين

❖ **السيد أسامة عابدة** [1]

(١) باحث اسلامي/ حوزة النجف الاشرف

لقد تأكّد بالروايات المتواترة أنّ السبايا والأسرى، عَرجوا بعد خروجهم من الشام على مجزرة كربلاء في اليوم العشرين من شهر صفر، هو اليوم المصادف لمرور أربعين يوماً على مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومصرع آله وأصحابه، وأقامَت المناحات على الشهداء حول مصرعهم ومدفنهم بكربلاء.

غير أنّ هناك خلافاً بين المؤرِّخين، حول أنّ حضور رَكب الأسرى والسبايا على قبول الشهداء في كربلاء، هل كان في السنة نفسها ـ أي سنة ٦١ هـ ـ أو في السنة التي تلتها ـ أي سنة ٦٢ هـ ـ ومعظم الروايات صريحة ـ وكثير من الأدلّة ناطقة ـ بأنّ ذلك قد تمّ في العشرين من شهر صفر سنة ٦١ هـ، وهي السنة التي صُرعَ فيها الحسين وآله بكربلاء.

هذا، بالإضافة إلى أنّ بعض الصحابة من شيعة آل علي عليهم السلام، كانوا قد توافدوا أيضاً على ساحة المعركة في ذلك اليوم، وأقاموا العزاء والنوح فيه على تلك القبور، وصادفَ أن التقى رَكب السبايا والأسرى بوفود الصحابة في هذه الساحة الحزينة العزلاء، فأقام الفريقان فيها مناحة على ضحايا البغي والظلم، لم يُسبق لها مثيل في ذلك العصر.

وأنقل فيما يلي ما توفّر لديّ من هذه الروايات.

١ ـ جاء في الصفحة (٧٤٧) من (موسوعة آل النبي)، عند وصف الرحلة من الشام إلى المدينة، وإلحاح دليل قافلة الأسرى والسبايا على قضاء حوائجهم

ما نصّه: قالت زينب للدليل مرّة: لو عَرجتَ بنا على كربلاء فأجابَ الدليل محزوناً: أفعل، ومضى بهم حتى أشرَفوا على الساحة المشؤومة، وكان قد مضى على المذبحة يومئذٍ أربعون يوماً، وما تزال الأرض ملطّخة ببقَع من دماء الشهداء وبقيّة من أشلاء غضّة، عفا عنها وحش الفلاة، وناحَت النوائح، وأقمنَ هناك ثلاثة أيام، لم تهدأ لهنّ لوعة، ولم ترقأ لهنّ دمعة، ثُمّ أخذَ الركب المنهك طريقه إلى مدينة الرسول.

٢ ـ وردَ في رواية أخرى تنقلها أسناد الرواية المعتبرة مفادها: إنّ يزيد أمرَ بردّ السبايا والأُسارى من الشام إلى المدينة المنوّرة في الحجاز، مُصطحبين بالرؤوس، تحت إشراف جماعة من العرفاء، يرأسهم النعمان بن بشير الأنصاري، فلمّا بلغَ الرَكب أرض العراق في طريقه إلى مدينة الرسول قالت زينب للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء، ومضى بهم حتى أشرَفوا على ساحة القتل المشؤومة.

وكان جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل، وجماعة من بني هاشم، ورجال من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا العراق لزيارة قبر الحسين عليه السلام.

فيقول في ذلك علي بن طاووس في كتابه (اللهوف): (إنّ الأسارى لمّا وصلوا إلى موضع مصرع الإمام الحسين، وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وجماعة من بني هاشم، ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فتوافَدوا في وقتٍ واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرِحة للأكباد، واجتمعَ عليهم أهل ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياماً).

٣ ـ أمّا قصّة الصحابي الأشهر جابر بن عبد الله الأنصاري، فتتلخّص في أنّه: بعد أن علمَ بمقتل الإمام الشهيد ـ وكان قد كفّ بصره ـ توجّه من المدينة نحو أرض كربلاء، وعندما وصلَ إلى قرية الغاضريّة على شاطئ نهر الفرات، اغتسلَ في شريعتها، وتقمّص بأطهر ثيابه، وتطيّب بسعد كان مع صاحبه عطاء، ثُمّ سعى نحو القبر الشريف حافي القَدَمين، وعليه علامات الحزن

والكآبة، حتى وقف على الرمس الكريم، ووقعَ مغشيّاً عليه، وعند إفاقته من غشوته سمعهُ عطاء يقول: (السلام عليكم يا آل الله...) الخ.

٤ ـ جاء في الجزء (١: ١٥١) من (المجالس السَنيّة) ما عبارته: (لمّا رجعَ أهل البيت من الشام إلى المدينة قالوا للدليل: مُرّ بنا على طريق كربلاء، فلمّا وصلوا إلى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وجماعة من بني هاشم، ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين، فتوافوا في وقتٍ واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم، واجتمعَ عليهم أهل ذاك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطيّة العوفي قال: (خرجتُ مع جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) زائراً قبر الحسين، فلمّا وَردنا كربلاء دَنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسلَ، ثُمّ اتّزرَ بإزار وارتدَى بآخر، ثُمّ فتحَ صرّة فيها سعد فنشرها على بدنه، ثُمّ لم يخطِ خطوة إلاّ ذكر الله تعالى حتى إذا دَنا من القبر قال: ألمِسنيه يا عطية، فألمَسته إياه فخرّ على القبر مغشيّاً عليه، فرشَشتُ عليه شيئاً من الماء، فلمّا أفاقَ قال: يا حسين ثلاثاً.

قال: حبيبٌ لا يُجيب حبيبه. ثُمّ قال: وأنّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفُرِّق بين بَدنك ورَأسك، أشهدُ أنّك ابن خير النبيين، وابن سيّد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس آل الكسا، وابن سيّد النقبا، وابن فاطمة سيّدة النسا، ومالكَ لا تكون هكذا). إلى آخر كلامه.

ثُمّ يستطرد الكتاب حيث يقول: (ومضى عبد جابر ليَرى مَن هم القادمون من ناحية الشام، فما كان بأسرع من أن يرجع وهو يقول: يا جابر، قُم واستقبل حَرَم رسول الله، هذا زينُ العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته، فقامَ جابر حافي الأقدام، مكشوف الرأس إلى أن دَنا من زين العابدين، فقال الإمام عليه السلام: (أنت جابر؟ قال: نعم، يا بن رسول الله. قال: يا جابر، ها هنا والله قُتِلت رجالنا، وذُبِحت أطفالنا،

وسُبيت نساؤنا، وحُرِقت خيامنا...).

٥ ـ جاء في الصفحة (٣٦١) من كتاب (المدخل إلى موسوعة العَتَبات المقدّسة) لجامعه جعفر الخليلي، عند ترجمة حال جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل ما نصّه: (وهو ـ أي جابر ـ أوّل مَن زارَ الإمام الحسين في كربلاء بعد أربعين يوماً من وفاته. وزيارته هذه من الزيارات المشهورة).

٦ ـ أقول: منذ ذلك التاريخ، ويوم (٢٠) صفر من كل عام أصبح يوماً مشهوداً في التاريخ الإسلامي، كما أنّه صارَ من أعظم أيام الزيارات لقبر الحسين عليه السلام وشهداء الطف في كربلاء، إذ تحتشد فيه مئات الألوف من المسلمين في مدينة كربلاء، ويُقيمون فيه المناحات الحزينة عند قبر الإمام، ويسيرون المواكب العظيمة التي تمثِّل رَكب الإمام الشهيد عليه السلام وتعيد ذكراه المقرِحة.

هذا، ويحدِّثنا التاريخ بأنّ رَكب السبايا والأسرى تركَ أرض كربلاء بعد بقائه فيها مدّة ثلاثة أيام أو أربعة، ميمّمين شطرَ مدينة الرسول صلى الله عليه وآله في الحجاز.

مدينةُ الرسول تندُب الحسين عليه السلام وآله:

أمّا في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، فيذكر التاريخ وتؤكد الروايات بأنّ عُبيد الله بن زياد ـ بعد أن كتبَ من الكوفة إلى يزيد في الشام يخبره بمقتل الإمام عليه السلام، وتسلمه جواب يزيد بإيفاد الأسرى والسبايا ومعهم الرؤوس إليه في الشام ـ بادرَ يزيد حالاً بإرسال عبد الملك بن حارث السلمي إلى عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق، وكان والي المدينة وحاكمها، وعامل يزيد فيها، وأمَرهُ بأن يُبشره بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وآله وصحبه، وفيما يلي بعض الروايات التي تحدِّثنا عن تفاصيل هذا الأمر:

١ ـ جاء في (إرشاد) المفيد ما نصّه: (أنفذَ يزيد عبد الملك بن أبي الحديث السلمي إلى المدينة؛ ليُخبر عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة

بقتل الحسين، فيقول عبد الملك:

لمّا دخلتُ على عمر بن سعيد قال: ما وراءك؟ فقلتُ: ما يسرّ الأمير، قُتلَ الحسين بن علي، فقال: اخرج فنادِ بقتله، فناديتُ، فلم أسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم، على الحسين بن علي حين سمعوا النداء بقتله.

ثُمّ يستطرد فيقول: وخرجت أم لقمان زينب بنت عقيل بن أبي طالب (رحمه الله)، حين سمعت نعي الحسين حاسرة، ومعها أخواتها: أم هاني، وأسماء، ورملة، وزينب بنات عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها في الطف، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تُخلِّفوني بسوء في ذوي رحمي

٢ ـ تقول الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها (سكينة بنت الحسين)، صفحة (٦٨) عند الإشارة إلى وصول السبايا إلى المدينة عام ٦١ هـ ما نصّه: (وضجّت المدينة بسكانها وهي تستقبل بقايا الرَكب الحسيني الذي ودّعته منذ قليل، وبرَزت النساء ـ كلّ النساء ـ صارخات باكيات، وخرَجت عقيلات بني هاشم من خدورهنّ حاسرات الوجوه، ينـدُبنَ في لوعة: واحسيناه، واحسيناه، ولم تبقَ في المدينة دار إلاّ وبها مأتم، ولبَثَت مناحة الشهداء هناك قائمة أياماً ولياليَ، حتى جَفّت المآقي من طول ما سكبت من دمع، وحتى ضحلَ الحلق من طول ما أجهَدَها النواح...).

وتستطرد الدكتورة بنت الشاطئ فتقول: (وفي المدينة أقامت الرباب ـ بنت امرئ القيس ـ زوجة الحسين المأتم عليه، وبكت النساء معها حتى جفّت دموعها، ولمّا أعلَمَتها بعض جواريها بأنّ السويق يُسيل الدمعة أمرَت أن يُصنع السويق، وقالت: إنّها تريد أن تقوى على البكاء، وقد خَطبها بعد الحسين الأشراف، فأبَت وقالت: ما كنتُ لأتخذ حِماً ـ أي أقارب الزوج ـ

وهكذا بقيت الرباب سنة بعد الحسين، لم يُظلّها سقف بيت حتى بَليت وماتت).

٣ ـ جاء في الصفحة (٥٠٨) من كتاب (أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام) المارّ ذكره، بعد وصف مسيرة السبايا من الشام إلى المدينة ما نصّه: (فلمّا دَخلوا المدينة خرَجت امرأة من بني عبد المطلب، ناشرة شعرها، واضعة كُمّها على رأسها، تلقاهم وهي تبكي وتنشد: (ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم..)) إلى آخر الأشعار المارّة الذكر.

٤ ـ وقد نقل صاحب كتاب (إقناع اللائم) هذا الحادث بالنص التالي: (وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي، قال الواقدي: لمّا وصلَ الرأس ـ رأس الحسين ـ إلى المدينة والسبايا، لم يبقَ بالمدينة أحد إلاّ وخرجوا وهم يضجّون بالبكاء، وخرَجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تصيح: واحسيناه، واأخوياه، واأهلاه، وامحمّداه، ثُمّ قالت:

ماذا تقولون إذا قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بأهل بيتي وأولادي أماَ لكم عهد أماَ أنتم توفون بالذمم ذرّيتي وبنو عمّي بمضيعة منهم أُسارى ومنهم ضُرّجوا بدم ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تُخلِّفوني بسوء في ذوي رحمي

٥ ـ وفي الجزء (١: ١١٣) من (المجالس السَنيّة) ما لفظه: (وكانت أم البنين ـ وهي فاطمة بنت حزام الكلابية ـ أُم العبّاس وإخوته: عبد الله، وجعفر، وعثمان، الذين قُتلوا مع أخيهم الحسين يوم عاشوراء ـ أم هؤلاء الأخوة الأربعة ـ بعد قتلهم، تخرج كل يوم إلى البقيع في المدينة، وتحمل معها عبيد الله ابن ولدها العبّاس، فتندب أولادها الأربعة خصوصاً أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس يستمعون بكاءها وندبتها، وكان مروان بن الحكم ـ على شدّة عداوته لبني هاشم فيمَن يجيء فلا يزال ـ يسمع ندبتها ويبكي، فمِمّا كانت ترثي به قولها في أولادها الأربعة:

لا تـــدعيني ويـــكِ أُم البنيـــن
تُذكـــريني بـــليوث العـــرين
كـــانت بـــنون ليَ أُدعَـــى بهـــم
والـــيوم أصـــبحتُ ولا مـــن بنيـــن
أربـــعةٌ مـــثل نســـور الـــربى قـــد
واصـــلوا المـــوت بقطـــع الوتـــين
تـنـــازع الخـــرصان أشـــلاءهم
وكلّهـــم أمـــسى صريـــعاً طـــعين
يـــا ليـــت شـــعري أكـــما أخبـــروا
بـــأنّ عـــبّاساً قـــطيع اليمـــين

وفي الصفحة (١٠٩) من الكتاب نفسه ما عبارته: (وروىَ عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه نظرَ يوماً إلى عبيد الله بن العبّاس بن علي فاستعبَر...).

٦ ـ جاء في الجزء (١: ١٥٣) من كتاب (المجالس السَنيّة) أيضاً ما نصّه: (قال بشير بن حذلم ـ وكان من جملة رَكب الأسارى والسبايا، ومعروفاً بقرض الشعر ـ: بأنّه حينما وصلَ ركب السبايا والأسرى ضواحي المدينة المنوّرة، قال لي الإمام زين العابدين عليه السلام: (ادخل المدينة، وانعَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام، قال بشير: فركبتُ فرَسي وركضتُ حتى دخلت المدينة، فلمّا بلغتُ مسجد النبي رفعت صوتي بالبكاء، وأنشدتُ أقول:

يـا أهـل يثـرب لا مقـامَ لـكم بهـا
قُتـلَ الحُسـين فـادمُعي مـدرار
الجسـمُ منـه بكـربلاء مـضرّج
والـرأس منـه علـى القنـاة يُـدار

ثُمّ قلتُ: يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه.

قال بشير: فما بقيَت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة، إلاّ برزنَ من خدورهنّ وهنّ يدعين بالويل والثبور، ولم يبقَ في المدينة أحد إلاّ وخرجَ وهم يضجّون بالبكاء، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله، وسمعتُ جارية تنوح على الحسين وتقول:

نـعي سـيّدي نـاعٍ نـعاه فأوجـعا
وأمـرَضني نـاعٍ نـعاه فأفـجعا
فـعينيي جـوداً بـالدموع وأسكـبا
وجـوداً بـدمـعٍ بـعد دمـعكما مـعا

على مَن دَهى عرش الجليل فزُعزعا
فأصبحَ هذا المجد والدين أجدَعا
على ابن نبيّ الله وابن وصيه
وإن كان عنّا ساخطاً الدار أتسعا

ثُمّ قالت: أيها الناعي جدّدتَ حُزننا بأبي عبد الله، وخدشتَ منا قروحاً لم تندمل، فمَن أنت رحمكَ الله؟ فقلتُ: أنا بشر بن حذلم، وجّهني مولاي علي بن الحسين وهو نازل بوضع كذا، مع عيال أبي عبد الله الحسين ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وغادروني، فضربتُ فرسي حتى رجعت، فوجدتُ الناس قد أخذوا الطُرق والمواضع، فنزلتُ عن فرسي وتخطأتُ رقاب الناس حتى قربتُ من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين داخلاً فخرجَ ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفهُ خادم معه كرسي فوضعه له، وجلسَ عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة، فأومأَ بيده أن اسكُتوا، فسكنَت فَورَتهم، فخطبَ فيهم خطبة مؤثرة، ثُمّ دخلَ زين العابدين إلى المدينة فرآها موحِشة باكية، ووجدَ ديار أهله خالية، تنعى أهلها، وتندُب سكانها...)، وهكذا أقامت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي إلى النواح الفاجع.

٧ ـ في الصفحة (٢١٨) من كتاب (سُكينة بنت الحسين) السالف ذكره ما عبارته: (المؤرِّخون يقرِّرون: أنّ المدينة كلّها كانت في مأتم عام لسيّد الشهداء، وإنّ أُمها الرباب ـ أي أم سكينة ـ قد أمضت عاماً بأكمله حادّة حزينة حتى لحقت بزوجها الشهيد، وإنّ أم البنين بنت حزام بن خالد العامريّة، زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كانت تخرج إلى البقيع كلّ يوم فتبكي أبناءها الأربعة..).

٨ ـ روى الشيخ الطوسي في أماليه، المجلّد الأول الصفحة ٣٢٢ بسنده عن عمرو بن ثابت، عن أبيه أبي المقدام، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس قال: (بينا أنا راقد في منزلي، إذ سمعتُ صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فخرجتُ

توجّه بي قائدي إلى منزلها، وأقبلَ أهل المدينة إليها الرجال والنساء فقلتُ: يا أُم المؤمنين مالكِ تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، وأقبَلَت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد الطلب أسعدنَني وابكينَ معي، فقد قُتل والله سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنة، فقد قُتل والله سبط رسول الله وريحانته الحسين.

فقلتُ: يا أُم المؤمنين ومن أين علمتِ ذلك؟ قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه، فقال: قُتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، فدفنتهم والساعة فرغتُ من دَفنهم، قالت: فقمتُ حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أعقل، فنظرتُ وإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرائيل من كربلاء فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنكِ وأعطانيها النبي فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة، أو قال: في قارورة ولتكن عندكِ، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين، فرأيتُ القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخَذَت أم سلمة من ذلك الدم فلطّخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين، فجاءت الرُكبان بخبره وأنّهُ قُتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت ـ أحد رواة هذا الحديث ـ: دخلتُ على أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام فسألتهُ عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عبّاس فقال أبو جعفر: (حدّثنيه عمرو بن أبي سلمة، عن أُمه أُم سلمة..).

٩ ـ قال سبط ابن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص): (ذكرَ ابن سعد عن أُم سلمة: أنّها لمّا بَلَغها قتل الحسين عليه السلام قالت: أوَ قد فعلوها؟ مَلأ الله قبورهم ناراً، ثُمّ بكت حتى غشيَ عليها). وذكرَ هذا الحديث (الصواعق المحرقة) أيضاً.

١٠ ـ ذكرَ ابن الأثير في تاريخه صفحة (٣٨)، مجلّد ونقلَت ذلك (موسوعة آل النبي) صفحة (٧٤٨) ما يلي: (قال ابن عبّاس: رأيتُ النبي ﷺ

الليلة التي قُتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دماً، فقلتُ: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى، فأصبحَ ابن عبّاس فأعلمَ الناس بقتل الحسين وقصّ عليهم رؤياه).

وعلّقَت الدكتورة بنت الشاطئ في الصفحة نفسها، من موسوعتها تلك على ذلك بقولها: (عندما نادى المنادي بقدوم علي بن الحسين إلى المدينة، وانتشرَ صدى النعي حتى بلغَ سفح أُحد، ارتدّ إلى البقيع، فقُباء، خافتاً ممزّقاً وما لبثَ أن تلاشى في صراخ الباكين وعويل المناديات، وبلغَ العويل سمعَ أمير المدينة عمرو بن سعيد الأشدَق فابتهجَ وقال:

عجّت نساء بني زياد عجّة
كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

يومٌ بيوم عثمان، وناعية بناعية عثمان. ولم تبقَ مخدّرة في المدينة إلاّ بَرَزت من خِدرها نائحة مُعوِلة...).

أقول: لقد نقلَ أقوال عمرو بن سعيد كلّ من تاريخ الطبري، وابن الأثير، وغيرهما من كُتب المقتل.

ثُمّ تُواصِل الدكتورة بنت الشاطئ كلامها فتقول: (وأهَلّ الرَكب الحزين على الجموع التي خرَجت لاستقباله، فما رأت مدينة الرسول أفجع مشهداً، ولا رأت مثل ذلك اليوم أكثر باكياً وباكية...).

وخَتمت الكاتبة قولها بما يلي: وأقامَت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي إلى النواح الفاجع، وتتلقّى في ثراها الطاهر دموع الباكين.

١١ــ ذكرَ كتاب (الأغاني) لأبي الفرَج الأصفهاني، نقلاً عن هشام الكلبي عن الرباب زوجة الحسين ما نصّه: (وخُطِبت بعد استشهاد الحسين فأبَت وقالت: ما كنتُ لأتخِذ حَموا بعد ابن رسول الله، ثُمّ قالت تَرثي الحسين:

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به
بكربلاء قتيلٌ غير مدفون
سِبط النبي جزاك الله صالحة
عنّا وجنّبتَ خسران الموازين

قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ به
وكنتَ تصحبنا بالرحم والدين
مَن لليتامى ومَن للسائلين ومَن
يغني ويؤوي إليه كلّ مِسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم
حتى أغيب بين الرَمل والطين

١٢ ـ قال ابن الأثير في المجلّد الرابع، صفحة (٤٥) من تاريخه، عن الرباب زوجة الحسين ما عبارته: (وبقيَت بعد الحسين سنة لم يظلّها سقف بيت، حتى بَليت وماتَت كمداً. وقيل: إنّها أقامَت على قبره سنة وعادَت إلى المدينة فماتت أسَفاً عليه...).

١٣ ـ جاء في الصفحة (٨٥) من كتاب (مقاتل الطالبيين)، لأبي الفرج الأصفهاني ما نصّه عن نياح أُم البنين: (وكانت أُم البنين ـ أُم هؤلاء الأربعة الأخوة القتلى ـ تخرُج إلى البقيع فتندُب بنيها أشجى ندبة وأحرَقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء فيمَن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي).

١٤ ـ روى الطبري في تاريخه، المجلّد ٤: الصفحة ٣٥٨ ضمن حوادث سنة ٦١هـ عن هشام، بسنده عن عمرو بن عكرمة: قال: (أصبَحنا صبيحة قَتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يُحدِّثنا: قال: سمعتُ البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً
أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ أهل السماء تدعو عليكم
من نبي ومليك وقبيل
قد لُعِنتم على لسان ابن داود
موسى وحامل الإنجيل

وقد روى ابن حجر عن المُلا هذا الحديث عن أم سلمة حيث إنّها قالت: لمّا كانت ليلة قَتل الحسين سمعتُ قائلاً يقول: (أيها القاتلون جهلاً حسيناً)، إلى آخر الأبيات.

ونقلَ الرواية والأبيات ابن الأثير أيضاً، وكذلك نَقلها (إرشاد) المفيد، و (بحار الأنوار) للمجلسي.

١٥ ـ جاء في الصفحة (١٤٧) من كتاب (نهضة الحسين) السالف الذكر

ما نصّه: (بلغَ السبي النبوي المدينة، ولكن بأيّة حالة تعرف مبلغ التأثير في أهل البيت؟ خاطبَت زينب المدينة قائلة:

مدينةُ جدِّنا لا تقبلينا
فبالحَسرات والأحزان جينا
خرَجنا منكِ بالأهلين جَمعاً
رَجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنّا في الخروج بجمع شمل
رجعنا حاسرين مُسلبينا
وكنّا في أمان الله جهراً
رَجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولانا الحسين لنا أنيس
رَجعنا والحسين به رهينا
فنحنُ الضائعات بلا كفيل
ونحنُ النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا
نُشال على جِمال المبغضينا

ثُمّ أخذَت بعضادَتي باب مسجد النبي صلى الله عليه وآله وقالت بلهفة: يا جدّاه، إنّي ناعيةٌ إليك أخي الحسين. ولا زالت بعد ذلك لا تجفّ لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلّما نظرَت إلى علي بن الحسين عليه السلام تجدّدت أحزانها وزاد وِجدها....

١٦ ـ وفي الصفحة (١٥١) من الكتاب نفسه، عند وصف وفود المعزّين في المدينة على آل النبي للمواساة والتسلية يقول: (وكانت العائلة النبويّة تجدِّد ذكراها في المدينة صباح مساء في حزن عميق، وشَجن عظيم.. وتبكي على الحسين رجالاً ونساء...).

ثُمّ يستطرد فيقول: (وكان وجوه المسلمين والموالون لآل البيت، يفدون على بيوت آل النبي بالمدينة معزّين ومواسين، وكان الواحد منهم يعبِّر عن مشاعره وأحزانه بأبلغ ما أوتيَ من روعة وقوّة البيان، وحُسن المواساة لهذه المصيبة، حتى تركوا ثروة أدبيّة رائعة في أدب التسلية والمواساة... وبقيَت بيوت آل البيت مجلّلة بالحُزن والسواد، ولا توقَد فيها النيران..).

ويَختم الكاتب الجليل كلامه بقوله: (فصارت المآتم منهم وفيهم تُقام في السنة مرّة، بعدما كانت مستمرّة..).

١٧ ـ جاء في الصفحة (١٦٢) من

(إقناع اللائم)، عند ذكر أُم البنين ونياحتها في المدينة على استشهاد أولادها الأربعة في فاجعة كربلاء ما عبارته: (وكانت تقول في ندبتها، كما عن الأخفش في شرح كامل المبرد:

يا مَن رأى العبّاس
كرّ على جماهير النَقَد
وَيلي على شِبلي أمَال
برأسه صوبَ العَمَد
لو كان سيفك في يد
يك لَما دَنا منك أحد

مدرك زيارة الأربعين

يمكن استفادة استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أربعينيته من كبرى مسلّمة بين جميع المسلمين وهي ان إحياء شعائر الدين من مصاديق التقوى وخوف الله تعالى، فان الله تعالى يقول ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] ومن ينوي زيارة الإمام الحسين عليه السلام عارفاً بحقه متوسلا به الى الله تعالى، ومستشفعا به اليه من باب ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] من ينوي ذلك فانه من المؤكد يكون مصداقا لمن خاف الله جل وعلا واتقاه وأتاه من بابه تعالى الذي لا يُسد ألا وهم الأئمة الكرام وذلك هو التعظيم الذي يريده الله لشعائره لأن فيه الخير والفلاح لعباده.

وكذلك يمكن استفادة استحباب زيارة الحسين عليه السلام في الأربعين من عدة روايات مرسلة ومسندة يستفاد من مجموعها وعدم شذوذ متنها وفق مبنى الوثوق في علم الرجال صحة هذه الروايات فلا موجب لرفضها وعدم قبولها وهذه الروايات هي:

ما نقله الحر العاملي في الوسائل عن تهذيب الشيخ الطوسي بإسناده عن صفوان الجمال قال لي مولاي الصادق عليه السلام: «في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله....»[1].

ما نقله الحر كذلك عن محمد بن الحسن قال[2]: روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام انه

قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الواحد وخمسين، وزيارة الأربعين، و التختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٣].

وقد يقال: لماذا لم يعدّ الإمام عليه السلام زيارة النبي صلى الله عليه وآله في يوم أربعينه من علامات المؤمن؟ أليس هو افضل من الحسين عليه السلام؟ وهكذا أمه وأبوه وأخوه عليهم السلام.

والجواب: ان الحسين عليه السلام وقضاياه استثناء من ذلك، فان الغرض من الزيارات والحث عليها وبالخصوص للإمام الحسين عليه السلام انما هو لأجل تكريم وتخليد الحسين عليه السلام إكراما لفدائه الإسلام وتضحيته بأهله وعياله لأجله فيناسب ذلك الحث على زيارته وترغيب المؤمنين بزيارته لان الإسلام قد حُفظ بتلك التضحية فبقي ذكرى رائعة في قلوب المسلمين، قال الصادق عليه السلام «إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً»[٤].

ثم انه لا مانع من أن يُزار النبي وسائر المعصومين في أيام اربعينهم أي بعد مرور أربعين يوماً على ذكرى استشهادهم، ولكن لم يرد في ذلك انه من علامات المؤمن[٥].

روي الشيخ الطوسي بإسناده: انه في اليوم العشرين من صفر كان رجوع حرم سيدنا أبي عبدالله الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب عليه السلام من الشام الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس[٦].

ولقد تسالم العلماء واجمعوا وأقرّوا تلك الزيارة ودأبوا على إحياء شعائرها على مدى السنين وفي ذلك ما يثبت مشروعيتها واستحبابها، وقد جاء ذكرها كثيرا في كتب الأصحاب، فهذا الشيخ الطوسي يقول: «وفي اليوم العشرين منه – صفر – كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله.... ويستحب زيارته فيه»[٧].

وذكرها الشيخ المفيد بعنوان فضل زيارة الأربعين، وذكر حديث أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام المتقدم[٨].

وذكرها الشهيد الأول أيضا فقال «ومنها زيارة الأربعين وهو اليوم العشرون من شهر صفر فإذا أردت زيارته عليه السلام في ذلك اليوم فزره عند ارتفاع النهار فقل: السلام على ولي الله..»[٩].

ونقل السيد الكفعمي تلك الزيارة أيضا فقال «وأما زيارة الأربعين فرواها صفوان بن مهران عن الصادق عليه السلام قال: تزور عند ارتفاع النهار بهذه الزيارة....»[١٠].

فسلامٌ على الحسين عليه السلام وطوبى لمن زاره في الأربعين وغيرها عارفاً بحقه مستنيرا بنوره، سائرا على دربه فذلك هو الفوز العظيم.

الهوامش

[١] الوسائل ج١٤ ص٤٨٧ آل البيت.
[٢] شكك أحد العلماء حفظهم الله بدلالة هذا الحديث الذي اعتبر فيه زيارة الحسين عليه السلام في الأربعين من علامات المؤمن وقال: ان المقصود من زيارة الأربعين هو زيارة اربعين مؤمناً لا زيارة الحسين عليه السلام في اربعينيته المباركة ولا ادري ما الدليل على هذا الرأي فلا مستند له من الكتاب او السنة او حتى البعد التاريخي لصدور تلك الرواية وسبب صدورها.
[٣] الوسائل ج١٤ ص٤٧٨ آل البيت.
[٤] مستدرك الوسائل ج١٥ ص٣١٨.
[٥] محاضرات السيد محمد الشيرازي. موقع النبأ في شبكة الانترنت.
[٦] مصباح المتهجد ص٧٨٧.
[٧] نفس المصدر ص٧٨٧.
[٨] المزار ص٥٦.
[٩] نفس المصدر ص١٨٥.
[١٠] المصباح للكفعمي ص٤٨٩.

العَقْلُ

وَدَوْرُهُ فِي صِيَانَةِ النَّهْضَةِ الحُسَيْنِيَّةِ وَتَكْرِيسِ قَابِلِيَّةِ التَّكْرَارِ وَالمُحَاكَاةِ

❖ **محمد منصور نجاد** (١)

(١) أستاذ جامعي / الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

مقدمة[1]

تتعرَّض هذه المقالة إلى العقل بوصفه مانعاً عن تحريف النهضة الحسينيّة، وكذلك بوصفه عاملاً وسبباً في إمكان محاكاتها، وتتوصل في قسمها الأول إلى أنّ العقل في مقام الثبوت ـ وسيأتي توضيح معنى مقام الثبوت ـ يلعب دوراً كبيراً في غربلة الحوادث التاريخيّة وتصفيتها، ومن جملتها واقعة كربلاء، فلو تأمّلنا في الاستنتاجات العقليّة الفاسدة التي تنشأ من بعض أخبار النهضة الحسينيّة لطرحنا تلك الأخبار بسهولة قبل أن نبحث في مقام الإثبات ـ وسيأتي توضيح لهذا المعنى ـ عن إسنادها، أو نفكّر في عقلنتها وتبريرها، وسننزه بذلك ثوب النهضة الحسينيّة المقدّسة عن كثير من التحريفات اللفظيّة والمعنويّة، التي يمكن أن تُلصَق بها من دون وعي تارة، وعن قصد أُخرى.

وينتهي البحث في القسم الثاني من المقالة إلى أنّ الأخبار التي لا مشكلة فيها ثبوتاً ـ على تقدير صحّة إسنادها ـ يمكن أن توجّه في مقام الإثبات توجيهاً عقلائياً، وتكون صالحة تماماً للاستدلال بها؛ وبهذا يمكن الردّ على مَن يريد أن يفسِّر حركة الإمام الحسين عليه السلام على أنّها حركة محدودة وضيّقة، وهي مختصّة بشخص الإمام عليه السلام، أو بزمان ومكان محددين، في حين أنّ القسم الأخير من أبحاث هذه المقالة في صدد بيان ـ مع ذكر الشواهد الكثيرة ـ أنّه يفترض من أي

قائد ديني أو ثوري يرفض الاستسلام أن يتّخذ نفس الطريقة التي سار عليها الإمام الحسين عليه السلام.

فجميع تحرُّكات الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء وحتى استقباله للشهادة كل ذلك كان له مبرِّر عقلائي، وطريقه هو الطريق الأفضل والممكن من بين الطرق الأُخرى.

وبهذا يتّضح أنّ حركة كربلاء لا تمثّل مهمة خاصّة غير قابلة للتكرار ولا تحمل رسالة للآخرين، بل الأمر على العكس تماماً، فهي نهضة تُعلّم الأُمم الأُخرى والقادة ـ بوصفها قانوناً عامّاً ـ كيفيّة القيام بالمهام المختلفة، التي تُلقى على عواتقهم في الظروف المختلفة، وتعلّمهم وجوب اتّخاذ الموقف العقلائي المناسب للمكان والزمان، وفي الوقت نفسه تحفظ حرمة الدين والشرف والعزّة.

هذه هي الرسالة الخالدة والأبدّية التي تبثّ الحياة في النهضة الحسينيّة، وتجعلها رسالة ترنّ في أسماع مَن ينادي بالحقّ والعدالة والحريّة، وفي كلّ زمان ومكان.

ومن هنا؛ فإننا نثبت في هذه المقالة أنّ النهضة الحسينيّة قابلة للتكرار والمحاكاة والمماثلة؛ أي لا بدّ أن نكون حُسينيين في كلّ زمان، وفي كل مناسبة تشبه عاشوراء، ولا بدّ من السير دائماً في طريق طلب الحقّ والعدالة، وكل القيم الأُخرى، مع الأخذ بنظر الاعتبار ظروف الزمان والمكان.

إن البُنية التحتية لدراسة حركة كربلاء دراسة عقليّة للبحث تقوم على فرضين أساسيين:

الأول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً عاملاً بكل ما للكلمة من معنى، وكان بصدد تطبيق الأحكام الإسلاميّة.

الثاني: إنّ الإمام عليه السلام هو شخصيّة رسالية أبيّة، وفي الوقت نفسه شخصيّة منطقية وعقلانية، وهو بالرغم من رفضه الصلح كان بصدد اتّخاذ أفضل موقف متناسب مع الأوضاع الزمانيّة والمكانيّة المختلفة.

وقبل الدخول في صلب البحث في هذه المقالة نتطرَّق إلى مطلبين مهمّين في هذا السياق ـ لهما الأثر البالغ في إلقاء الضوء على جوانب البحث ـ لتتكشّف الصورة أكثر وتبدو أكثر وضوحاً:

المطلب الأول: الحديث عن أنواع الرؤى والنظريات في التعاطي مع التاريخ، وما هي المناهج الموجودة في دراسة التاريخ، والتعامل مع موادّه.

المطلب الثاني: أثر ودور العقل في مقام الثبوت والإثبات في معالجة الحوادث التاريخية.

وعند الحديث في المطلب الأول، فإننا نقول: إنّ هناك عدّة رؤى ومناهج في دراسة التاريخ وكيفيّة التعامل مع موادّه، ويمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام[٢]:

الأول: التاريخ النقلي

ويُطرح في التاريخ النقلي وقائع وأحداث الناس وأحوالهم في الزمن الماضي على شكل سردٍ توثيقي، مجرد من تحليل أو دراسة.

الثاني: التاريخ العقلي

وهو العلم بالقواعد والسنن الحاكمة على حياة الماضين التي تحصل عن طريق دراسة وتحليل الحوادث التاريخية السابقة والوقائع الماضية، ويكون المؤرِّخ بهذا المعنى في صدد الكشف عن طبيعة الحوادث التاريخية ورابطة السببية بينها؛ كي يصل إلى سلسلة قواعد وضوابط عامّة يمكن تعميمها على الحالات المشابهة في الماضي والحاضر.

وهكذا لا يكتفي التاريخ العقلي ـ خلافاً للتاريخ النقلي ـ بسرد الحوادث، بل يقوم بتعليل الوقائع، بمعنى أنّه يسعى في هذه النظرية لتفسير علل وقوع كل حادثة في مرحلتها الزمانية والمكانية الخاصّة.

الثالث: فلسفة التاريخ

يطرح في فلسفة التاريخ العلم بتغييرات المجتمعات وتطوراتها من

مرحلة إلى أُخرى، والقوانين الحاكمة على هذا التطوّر والتغيّر، فهو العلم بكيفيّة صيرورة المجتمع لا بكيفيّة وجوده، فليس المقوِّم لتاريخيّة مسائل فلسفة التاريخ هو ارتباطها بالماضي، بل هو العلم بقضية حدثت في الماضي، وهي مستمرة وستستمر إلى المستقبل.

وهذه المقالة تبحث حادثة كربلاء بلحاظ النوع الثاني من البحث التاريخي، أي إنّها تضع التاريخ العقلي التحليلي تحت البحث والتدقيق، ولم تتعرَّض إلى التاريخ النقلي بما هو سرد للواقعة، بل لو اعتمدنا أيضاً على وقائع ما، فهو من باب أنّها تعدّ المادّة الأوليّة للتاريخ العقلي ومقدمة للبحث.

وقد استفدنا هنا من العقل بمعنيين: العقل بصفته الميزان في معرفة صحّة أو سقم الحوادث التاريخية المتعلقة بكربلاء، والعقل بمعنى الوسيلة التي تفي بتحليل وقائع هذه النهضة وتسعى إلى تعميمها[٣].

أثر العقل في مقامي الثبوت والإثبات في تحليل الحوادث التاريخية

في البداية من الضروري أن نذكر توضيحاً مختصراً لاصطلاحي الثبوت والإثبات:

مقام الثبوت: هو مقام الواقع؛ لأن لواقع كلّ شيء حدّاً ودرجةً، وهو مقام الشيء في حدِّ نفسه، والبحث في مقام الثبوت هو البحث عن إمكان وجود الشيء، وأنّه هل يلزم من فرض وجود قضية ـ أو حادثةٍ ما ـ محذورٌ عقلي فاسد أو لا؟

وأمّا مقام الإثبات: فهو مقام الشيء بالنسبة إلينا ـ في مقابل مقام الشيء في نفسه ـ وهو يرتبط بمرحلة التحقق الخارجي، ويُبحث في مقام الإثبات حول وجود دليل عقلي أو نقلي يدل على الموضوع الذي افترضناه ممكناً في عالم الثبوت أو لا.

ولو درسنا الحوادث التاريخية على أساس مقاميّ الثبوت والإثبات، لوجدنا فيهما جهة اشتراك وجهة افتراق، أمّا

جهة اشتراك مقامي الثبوت والإثبات، فهي: إنّ للعقل تاثيراً فيهما معاً. وأمّا جهة افتراقهما، فهي أنّ الحادثة التاريخية في عالم الثبوت تُعرَض على العقل.

وبعبارة أُخرى: إنّ العقل في مقام الثبوت هو المعيار والمُحكّم في الحوادث التاريخية، أي إنّ العقل هو الميزان في معرفة أنّ هذه الحادثة التاريخية ـ مثلاً زواج القاسم في واقعة كربلاء ويوم عاشوراء ـ هل هي ممكنة ثبوتاً أو لا؟ أي إنّ أصل قبول هذه الواقعة التاريخية ـ وبقطع النظر عن إمكان إيجاد دليل لها من الناحية التاريخيّة ـ هل يلزم منه محاذير فاسدة أو لا؟

وأمّا إذا بُحثت قضية زواج القاسم من ناحية مقام الإثبات، فأحد جهات تلك القضية هو البحث في الأدلّة النقليّة ودراستها، فالعقل ـ باعتباره الوسيلة ـ بصدد استنتاج أنّه لو فرضنا أنّ تلك القضية لا تستتبع محاذير فاسدة على مستوى الثبوت، وفرضنا أنّ أدلّتها صحيحة أيضاً، فلماذا؟ ولأي سبب تقع هذه القضية في ذلك الزمان والمكان؟ وهل كان هذا العمل منطقياً ومعقولاً أو لا؟

العقل في مقام الثبوت مانع من تحريف النهضة الحسينية

من جملة ما تتبنَّاه الشيعة: إنّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة، ومن هذه الجهة يكون التحريف في الدين عموماً، وفي شخصية وحياة الأئمة خصوصاً خطيراً ومدمِّراً جدَّاً؛ ومن هنا فمنع التحريف اللفظي أو المعنوي هو الهدف لكلّ ذي لبّ، ومن جملة طرق الوقوف بوجه التحريف هو التمسّك بالعقل في مقام الثبوت الذي وقع البحث حوله بشأن النهضة الحسينيّة في هذه المقالة.

أمّا كيف يصير العقل في مقام الثبوت مانعاً عن تحريف الحوادث التاريخية؟

فنقول في صدد الجواب عن ذلك: إنّه يُطرح تساؤل في مقام الثبوت ـ وقبل أن نلتمس الأدلّة العقليّة أو

النقليّة للحادثة التاريخيّة، ولا بدّ أن يُجاب عن ذلك التساؤل بالإيجاب؛ كي ينفتح البحث عن التاريخ النقلي وتعليل الحوادث ـ وذلك التساؤل الأساسي هو: هل يلزم من نقل حادثة ما محذور عقلي فاسد أو لا؟ مثلاً ما يذكر عادَّة: (إنّه لمّا عزم علي الأكبر في يوم عاشوراء على القتال، نذرت أُمّه: لئن أرجع الله تعالى عليّاً الأكبر سالماً ولم يقتل في كربلاء لأزرعن طريق الطف ريحاناً، أي أنّها نذرت أن تزرع ثلاثمائة فرسخ ١٨٠٠ كيلو متر ريحاناً) [٤] ، هل يمكن أنّ يتصور الإنسانُ الذي يتمتّع بعقل وفكر متعارف وعادي هذه الحادثة؟ وبقطع النظر عن البحث في مقام الإثبات عن حضور ليلى أُمّ عليّ الأكبر، وهل أنّه أمر واقعي أم لا؟

فلو كان هذا الخبر مقبولاً، وكان تصديقه ونسبته إلى الإنسان العاقل والسليم يستلزم محذوراً عقلياً فاسداً؛ إذن فلا حاجة إلى أن نبحث أدلّة ذلك الخبر العقليّة والنقليّة، وهل أنّ هذا الخبر مقبول أو لا؟ بل لا قيمة لهذا الخبر وإن كان مرويّاً في بعض الكتب، بل في مئات الكتب، وإنّما يطرح مثل هذا الخبر قبل النظر في أدلّته.

ولهذه النظرية تطبيقات مفيدة في جميع الحوادث التاريخية، ويمكن غربلة وتصفية كثير من الأقوال التاريخيّة بسهولة عن طريق ميزان العقل؛ ومن هنا فالبحث من هذه الناحية ليس بحثاً جديداً[٥]، وقد اكتفينا باستعراض شواهد قليلة، وأوكلنا عمدة البحث إلى القسم الآخر الذي لم يُتعرَّض إليه في المؤلفات أبداً.

ومن جملة الحوادث المتعلّقة بحركة كربلاء والتي هي غير ممكنة ثبوتاً، وفي عداد المحرَّفات، هي ما ورد في كتاب أسرار الشهادة من (أنّ عدد جيش عمر بن سعد في كربلاء مليون وستمائة... وقد قتل الإمام الحسين عليه السلام لوحده في يوم عاشوراء ثلاثمائة ألف رجل. فلو فرضنا أنّ السيف يقتل في كل ثانية رجلاً، فقتل ثلاثمائة ألف رجل يحتاج إلى ثلاثة وثمانين ساعة وعشرين دقيقة) [٦].

فمثل هذه الأخبار وإن كانت تُروى في كتب متعددة ومن مؤرخين كثيرين، بل ومشهورين، إلاّ أنّها مطروحة ثبوتاً من دون حاجة إلى ملاحظة سند تلك الحادثة، وتجشُّمِ العناء والتكلُّف في عقلنتها وتوجيهها إثباتاً. وإذا استفدنا من الموازنة العقليّة سيتمّ تنزيه ثوب النهضة الحسينيّة المقدسة من مثل هذه التحريفات؛ لأنّ فيها محاذير عقليّة واضحة.

ومن أمثلة هذه التحريفات ما يذكر من قصّةٍ في مسألة حبِّ أبي الفضل العباس لأخيه الحسين عليه السلام، فإنّه لمّا كان الإمام عليّ عليه السلام على المنبر، كان الحسين أسفل المنبر، فطلب الماء؛ فبادر العباس ليسقيه الماء...

قال الشيخ النوري في مناقشة هذا الحديث الموضوع: (إنّ مَن يقول بأنّ الإمام علياً عليه السلام كان يخطب على المنبر، لا بدّ أن يعلم أنّ الإمام علياً عليه السلام لم يخطب على المنبر إلاّ في مدّة خلافته، فلا بدّ أن تكون تلك الحادثة في الكوفة، وفي هذا الوقت كان عمر الحسين ثلاثاً وثلاثين سنة، فكيف يكون هذا الكلام معقولاً؟!)[٧]، ومَن ينسيه العطش الالتفات إلى سنه وعمره والمكان الجالس فيه، كيف يصلح أن يكون قدوة لأفراد المجتمع أو يكون قوله وفعله وتقريره حجّة؟!

ومن هنا؛ فمثل هذا الخبر قبل أن نعرف أنّه ورد في أيّ مصدر، وما هو مقدار اعتباره من حيث صحّة السند وعدمها، لا يكون ممكناً ثبوتاً بملاك العقل بسبب ما يترتّب عليه من المحاذير الكثيرة غير المعقولة والفاسدة؛ ولذلك فلا حاجة إلى المبالغة في إتعاب النفس للتعرُّف على أنّه هل الراوي صادق أو كاذب؟ وهل أنّ سلسلة السند صحيحة أو لا؟ وهل أنّ الخبر صحيح أو موثّق أو.. وحينئذٍ سنطرح هذا الخبر بسهولة ومن دون الالتفات إلى دلالته ومضمونه.

والنتيجة: هي أنّه يمكن أن يستفاد من العقل في مقام الثبوت لتحقيق

الأُمور التاريخية فوائد جيدة، فإنّ ذلك سيكفي المحققين مؤنة البحث الإثباتيالعقلي أو النقلي في المسائل التاريخية.

إذن؛ فمع الاستفادة من العقل يمكن المنع ثبوتاً من وجود التحريفات الكثيرة اللفظيّة والمعنويّة في جميع الحوادث التاريخية، ومن جملتها واقعة كربلاء.

العقل في مقام الإثبات العامل الرئيس لتكرار النهضة الحسينية

من جملة الأسئلة المهمة بشأن حركة كربلاء والتي يمكن أن تثير الانتباه والتأمّل هي: هل أنّ حادثة كربلاء خاصّةٌ ولا تتكرر، أو أنّها قابلة للاقتداء بها وتكرارها، فهي عامّة؟

فإن أُجيب عن الشقّ الأول من السؤال بالإيجاب، وإنّها حادثة مختصّة بشخص معين؛ فلا معنى للكلام حول عاشوراءات أُخرى، ولا يمكن أن نستنتج من هذه الواقعة التاريخية قانوناً.

وأمّا لو أُجيب بالنفي، وأنّ واقعة كربلاء كانت تُدار على يد قائد دينيّ، وثوريّ ـ كما هو مدّعى المقالة ـ وكان اتّخاذ القرارات معقولاً ومناسباً إلى حدّ كبير، بحيث لو واجه ذلك أيَّ قائد ثوريّ لاتّخذ تلك القرارات نفسها، ولاتّخذ هذا المنهج نفسه؛ وعليه يمكن الوصول إلى قواعد وقوانين، وسنن تكون بها النهضة الحسينيّة، والدفاع عنها إلى آخر نفس، أمراً موضوعيّاً في أوضاع كربلاء وزمان الإمام الحسين عليه السلام.

ويظنّ بعض الناس أنّ كربلاء حادثة خاصّة، مرتبطة بأشخاص معينين، وليس لها أيّ عموميّة، والدليل على هذا تحريفان معنويان أساسيان:

الأول: إنّ الحسين إنّما خرج ليُقتل ويكون دمه كفارة لذنوب شيعته.

الثاني: (إنّ الإمام الحسين كان يعتبر هذه الواقعة والشهادة

تكليفاً إلهياً مختصّاً به، ولا ربط له بنا، فهو ليس قابلاً للاتّباع) [٨].

نهضة كربلاء لا تقف عند زمن الإمام الحسين عليه السلام

إننا في خصوص هذا القسم من البحث في صدد الوصول إلى نتيجة، وهي أنّ نهضة كربلاء لم تكن خاصّة تتعلّق بزمن الإمام الحسين عليه السلام فحسب، بل هي عامّة يمكن محاكاتها؛ ولأجل تحليل هذه القضية نستعين مرّة أُخرى بالعقل في مقام الإثبات، وسنتعرَّض في هذا القسم من البحث إلى الأسباب التي أدّت إلى حدوث واقعة كربلاء والنهضة الحسينيّة، والمواقف التي اتّخذها أبو عبد الله الحسين عليه السلام، ولكن بعد الإذعان بأنّ بعض وقائع كربلاء ممكنة ثبوتاً، ولا مشكلة فيها من حيث السند إثباتاً [٩]، ويمكن أن تكون نتيجة هذا القسم من البحث هي أنّ واقعة كربلاء من المعقوليّة بمكان، بحيث لو واجهها أيُّ قائد ثوري لاتّخذ نفس ذلك الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسين عليه السلام؛ ومن هنا فإنّ هذه الثورة عقلائية تماماً وعامّة [١٠].

ولأجل إثبات أنّ النهضة الحسينيّة من المدينة إلى كربلاء نهضة عامّة قابلة للتكرار سنختار ثمانية مواقف ـ رعاية للاختصار ـ اتّخذها الإمام الحسين عليه السلام، ودراسة أسبابها:

١ـ لماذا كانت النهضة الحسينية في زمان حكم يزيد؟

٢ـ كيفيّة حضور الإمام عليه السلام وكلامه في مجلس الوليد بن عتبة.

٣ـ لماذا الهجرة إلى مكة؟

٤ـ لماذا الخروج من مكة؟

٥ـ لماذا التوجّه نحو الكوفة؟

٦ـ لماذا الاستمرار في المسير بعد سماع خبر شهادة مسلم؟

٧ـ لماذا كربلاء؟

٨ـ لماذا الشهادة؟

١ـ لماذا كانت النهضة في زمان حكم يزيد؟

هنا يمكن طرح عدّة تساؤلات،

وهي: لماذا بعد أن استلم يزيد السلطة أظهر الإمام الحسين عليه السلام موقفه تجاه ذلك؟ ولماذا عزم على الهجرة؟ فهل كان من المحتمل أن يوجد حلّ آخر غير هذه الطريقة؟

قد جاء في المصادر التاريخيّة، أنّه بعد موت معاوية، وتسلُّم يزيد للسلطة أرسل يزيد كتاباً إلى الوليد بن عتبة والي المدينة جاء فيه: (أمّا بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام) [١١].

وجاء في المصادر الأُخرى فيما يرتبط بهذا الكتاب: (إذا أتاك كتابي هذا، فاحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما) [١٢].

ومن جانب آخر، قد وردت رواية أُخرى فيما يتعلّق بعدم قبول الإمام للبيعة، وهي أنّه بعد أن دُعي الإمام إلى مجلس الوليد بن عتبة، سأل عبد الله بن الزبير الإمام الحسين، فقال: فما تجيب إن دُعيت إلى بيعة يزيد يا أبا عبد الله؟ فأجاب الإمام عليه السلام: (كيف أبايع ليزيد، ويزيد يشرب الخمر ويلهو، ويقضي يومه بملاعبة الكلاب والفهود وليله باللهو واللعب) [١٣].

ومع الالتفات إلى الوثائق المذكورة، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أظهر موقفه تجاه يزيد لدليلين على الأقل:

الأول: طريقة يزيد في التعامل مع القضية، وهي إمّا البيعة أو قطع الأعناق، فماذا سيكون موقف كلّ إنسان ثوري أمام هذا القهر والتهديد؟ واللطيف أن الإمام الحسين عليه السلام قد عاش في حكومة معاوية ما يقرب من عشر سنوات بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، ولكن مع ذلك لِمَ لم يتّخذ موقفاً من هذا القبيل؟

الجواب: إنّ معاوية لم يُبدِ أيّة معاملة شديدة مع الإمام الحسين عليه السلام، فحتى عندما أرسل له الإمام الحسين عليه السلام كتاباً شديد اللهجة، لم يظهر معاوية موقفاً متشدداً، على الرغم

من أنّ الآخرين كانوا يحثّون معاوية على اتّخاذ الموقف الشديد، ولكن مع ذلك (كان يبعث إليه في كل عام ألف ألف درهم من بيت المال، ويرسل إليه ـ ما عدا هذا المبلغ ـ السلع والجوائز الكثيرة) [١٤].

الثاني: إنّ السبب في رفض الإمام البيعةَ هو علمه بمفاسدها الواضحة، فإنّ السمعة السيئة ليزيد كانت بدرجة من الوضوح، بحيث يعترف بها حتى مثل ابن خلدون ـ الذي يعتقد بأن أصل حركة الحسين عليه السلام غير معقولة ـ حيث يقول: (يزيد متجاهر بالفسق) [١٥] ، وليس الحسين عليه السلام مثل أي شخص من المسلمين فحسب، بل هو متصدٍ لزعامة المسلمين، وهو سليل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبوله لبيعة يزيد يعني إعطاء الشرعيّة لأعمال الحكّام المفسدين وسلطتهم.

ولهذه الأدلّة يبدو أنّ كل قائد ثوري لو عاش في ظرف الإمام الحسين عليه السلام لكان ينبغي له أن يظهر نفس المواقف التي صدرت من الإمام عليه السلام؛ أي إنّه يأبى ويرفض بيعة يزيد، وسيطرح بشكل وآخر اعتراضه ولا يرضى بمشروعيّة حكومته.

٢ـ كيفيّة حضور الإمام عليه السلام في مجلس الوليد بن عتبة وكلامه معه

بعد أن دُعي الإمام الحسين عليه السلام إلى قصر الإمارة من قِبَل الوليد بن عتبة والي المدينة أخذ الإمام يعمل بدقّة وحنكة توجب غضب الأعداء، وذلك:

أولاً: روي عن أبي مخنف أنّ الإمام قبل أن يذهب إلى مجلس الوليد: (قام فجمع إليه مواليه وأهل بيته.. وقال لأصحابه: إنّي داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا؛ فاقتحموا عليَّ بأجمعكم، وإلاّ فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم) [١٦] [١٧].

ثانياً: لمّا قرأ الوليد كتاب يزيد بشأن البيعة، قال الإمام عليه السلام بعد أن استرجع: (أمّا ما سألتني من البيعة فإنّ مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها

على رؤوس الناس علانيةً. قال: أجل. قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً) [١٨].

وأمّا بشأن موقف الإمام الحسين عليه السلام وكلامه، فإنّه بالرغم من أن الوليد بن عتبة كان مكلفاً بأخذ البيعة من الإمام أو اتّخاذ الموقف الصارم والشديد تجاهه، قد أُبهت الوليد بموقفين مدروسين:

الأول: كلام الإمام عليه السلام المنطقي والمعقول؛ فقد طرح عليه اقتراحاً جعل الوليد يقع في مشكلة ويتأثّر؛ فيعطي الإمام الفرصةَ لأن يبايع مع الناس.

الثاني: لمّا بالغ مروان بن الحكم، وحثّ الوليد على اتّخاذ موقف صارم، رفع الإمام الحسين عليه السلام صوته واتّخذ القرار الحاسم، وبذلك أظهر شجاعته وبطولته، وفي نفس الوقت أظهر عملاً عقلائياً ومنطقياً، فإنّه قد أخرج قومه من مخبئهم وأخذوا الإمام الحسين معهم.

وهذه الملاحظة تنسجم تماماً مع مَن يدّعي أنّ النهضة الحسينيّة بكلّ جزئياتها، حادثة معقولة، ويمكن أن يُدافع عنها بشكل عقلائي؛ وبالتالي فيها قابليّة الشموليّة والعموميّة والتكرار.

٣ ـ لماذا الهجرة إلى مكة؟

إذا كان الخيار الوحيد للإمام الحسين عليه السلام، هو عدم قبول البيعة واتّخاذ الموقف حيال ذلك، وكان من اللازم أن يترك المدينة، فلماذا اختار مكة؟ وللجواب عن هذا السؤال نطرح عدّة ملاحظات:

الأُولى: اختيار مكة نتيجة الاستشارة

لمّا تبيَّن أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد عزم على ترك المدينة، فإنّ من جملة الأشخاص الذين تشرفوا بلقائه ـ وأحسّوا بالعواقب الخطيرة المترتّبة على هذا السفر وتنبؤوا بها ـ هو محمد بن الحنفية أخو الإمام الحسين عليه السلام، وبعد أنّ طرح الأمر عليه سأل الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمداً: (فأين

أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة... فقال عليه السلام: يا أخي قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً وموفّقاً، وأنا عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيّأت لذلك) [١٩].

الثانية: مكة الحرم الإلهي الآمن

حيث إنّ الإمام مهدّد بالقتل فيما لو لم يبايع، فكانت مكة هي المكان المناسب للهجرة، فإنّ أرض الحجاز هي حرم الله الآمن عند المسلمين، والناس فيها آمنون كما جاء في سورة آل عمران: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [٢٠].

الثالثة: مكة هي عاصمة الإسلام المركزيّة

أولاً: إنّ مكة مكان مناسب للاطّلاع على أفكار المسلمين؛ فإنّ هذا المكان المقدّس محل اجتماع المسلمين.

وثانياً: إنّ مكة هي المكان العالمي المناسب لإعلان المواقف والتبليغ [٢١]؛ ومن هنا نجد أنّه بعد أن جاء الإمام عليه السلام إلى مكة (وأقبل أهلها يختلفون إليه ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق) [٢٢].

إذن؛ فيمكننا أن نجيب مَن يسأل عن السبب في اختياره مكة، بأنّه إن كانت مكة هي الحرم الإلهي الآمن، وهي أفضل ملاذ للمطلوبين والمراقبين، وهي المكان المناسب للإنسان المصلح الذي يريد أن يكون على علم بما يجري في العالم الإسلامي، ويوصل صوته إليهم، فالهجرة من المدينة إليها أمر منطقي؛ وهذا هو السبب الذي دفع البعض بأن يوصي الإمام عليه السلام أيضاً بالذهاب إلى ذلك المكان.

وهذا ما ندّعيه في هذا القسم من المقالة، وهو أنّ النهضة الحسينيّة في مقام الإثبات نهضة منطقية، وبالإمكان الدفاع عنها عقلائياً، وهي مؤهلة لأن يستفاد منها قاعدة كلية وضابطة عامّة.

٤ ـ لماذا الخروج من مكة في الثامن من ذي الحجة؟

إنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام بسرعة من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية وتركه الحجّ وعدم إكماله له يثير التساؤل، ويمكن توجيه الإجابة عن هذا السؤال بعدّة توجيهات:

ألف ـ خرج ابتعاداً عن الأعداء وحفاظاً للنفس

لمّا سأله أبو هرّة الأسدي الكوفي في موضع الثعلبية: ما الذي أخرجك من حرم جدِّك محمد صلى الله عليه وآله؟ قال الإمام الحسين عليه السلام: (يا أبا هرّة، إنّ بني أُمية أخذوا مالي وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت) [٢٣].

ولمّا رآه الفرزدق وسأله عن سبب الخروج من مكة بهذه السرعة بقوله: ما أعجلك عن الحجّ؟ فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: (لو لم أعجل لأُخذت)[٢٤].

ولهذا السبب نجد أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة كان متزامناً مع يوم دخول عمرو بن سعيد بن العاص بجيشه الجرّار إلى مكة، هذا والحسين كان قد أحرم للحجّ، فأحلّ إحرامه وجعلها عمرة مفردة[٢٥]، وكان هؤلاء يقومون بعملهم بجديّة، إلى حدّ أنّهم قد قطعوا الطريق عليه حتى بعد خروجه من مكة، وكاد الأمر أن يصل إلى القتال[٢٦].

ب ـ الحفاظ على حرمة مكة

أشرنا في البحث المتقدّم إلى أنّ مكة تُعرف بين المسلمين بالحرم الإلهي الآمن إلاّ أنّ يزيد وأعوانه الذين لا يعتقدون بالقيم الإلهية أرادوا أن يستغلّوا هذه الفرصة؛ حيث إن الناس في حالة طواف ولا سلاح معهم، وليس لديهم الاستعداد للدفاع عن أنفسهم؛ فيريقوا دم الإمام في حرم الله الآمن، وفي هذه الحالة سيكونون قد تخلصوا من أشد أعدائهم، ثمّ إنّه لا يُعرف بعد ذلك مَن الذي فعل هذا الفعل، والأهم

من ذلك هتك حرمة مكة، وسيكون قتل الإمام واستشهاده في الكعبة أمراً عادياً.

وعندما قال له عبد الله بن الزبير: إن شئت أقمت فوليت هذا الأمر آزرناك وساعدناك ونصحناك وبايعناك. أجابه الإمام عليه السلام: (إنّ أبي حدَّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش)، ثم قال عليه السلام: (والله، لئن أُقتل خارجاً منها أحب إليَّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر) [٢٧].

والنتيجة: إنّ الإمام بعمله هذا قد أخّر الشهادة ورفع هتك حرمة مكة، وكان هذا هو الطريق الوحيد والمنطقي لحفظ النفس وحفظ حرمة بيت الله الحرام.

٥ـ لماذا التوجه نحو الكوفة؟

كانت نتيجة البحث السابق هي أنّه كان من المنطقي أن يترك الإمام الحسين عليه السلام مكة، إلاّ أنّ السؤال هنا هو: إن كان الخروج من مكة ضرورياً، فلماذا التوجّه نحو الكوفة؟ ويمكن أن يكون الجواب عن هذا السؤال هو: أنّ أهل الكوفة دعَوه إليهم؛ وذلك طبقاً للروايات والوثائق التاريخية.

فإنّه بعد أن دخل الإمام عليه السلام إلى مكة وصلت إليه كتب كثيرة من أهل الكوفة، ولكنّه سكت، ولم يجب عن كتب أشراف أهل الكوفة، حتى روي أنّه وصل إلى الإمام عليه السلام في يوم واحد، ستمائة كتاب، وبلغت اثني عشر ألف كتاب، إلاّ أنّه لم يجب عنها، ولمّا وصل الكتاب الأخير من أهل الكوفة بيد هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي الذي جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم: للحسين بن علي من شيعته المؤمنين، أمّا بعد، فحَيَهل، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل يا بن رسول الله) [٢٨].

فهل يمكن أن يكون الجواب عن هذه الكتب والرسل بالنفي أو اللامبالاة؟! فلو لم يجب

الإمام عليه السلام عن هذا العدد الكبير من الكتب التي يطلبون فيها منه نصرتهم وهدايتهم، فماذا سيحكم التاريخ اليوم بشأن الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك تُعدّ إجابتهم هي الطريق المنطقي الوحيد. إلاّ أنّ الإمام الحسين لم يكن ليعتمد على كتبهم ويتحرك نحو الكوفة من دون تحقيق وتفحص، بل أراد أن يختبرهم ويرى مدى صدقهم بإرسال رسول إليهم؛ ولذا لمّا اختار الإمام الحسين عليه السلام مسلمَ بن عقيل للقيام بهذه المهمة، كتب إليهم جواباً عن كتبهم: (وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم) [٢٩].

ثمّ إنّ مسلم بن عقيل بعد أن ذهب إلى الكوفة وانتقل إلى دار هاني كتب كتاباً إلى الحسين عليه السلام يدعوه فيه للمجيء إلى الكوفة، قال: (فإنّ الناس كلهم معك، وليس لهم في آل معاوية رأي ولا هدى) [٣٠]، وقد وصل هذا الكتاب إلى الإمام عليه السلام بعد أن خرج من مكة[٣١].

ومن هنا؛ فأفضل مكان يقصده الإمام عليه السلام هو ذلك المكان الذي يكون فيه سفيره قد هيّأ فيه الأرضيّة المناسبة، وأخذ من الناس البيعة له، فالإمام إذن ليس له خيار إلاّ ترك مكة، والخيار المنطقي الوحيد هو السير نحو الكوفة فحسب؛ ومن هنا نجد أنّ الإمام عليه السلام قد أجاب ابن عباس بالنفي الذي كان يعتقد بخطورة الذهاب إلى الكوفة[٣٢].

٦ ـ لماذا الاستمرار في المسير بعد سماع خبر استشهاد مسلم؟

إنّ السؤال الذي تكون الإجابة عنه أصعب من الإجابة عن الأسئلة السابقة هو أنّه لماذا لمّا أُخبر الإمام الحسين عليه السلام وهو في الثعلبية بشهادة مسلم وهاني، لم يتراجع عن التحرك نحو الكوفة، بل استمر في السير؟ وللجواب عن هذا السؤال لا بدّ من ملاحظة النقاط التالية:

ألف ـ الاستعداد القلبي لأهل الكوفة

لعل أهم جواب عن هذا السؤال هو أنّ الإمام عليه السلام وإن سمع بنقض أهل الكوفة للعهد، ولكنه لم ييأس منهم، وكان يتصور أنّه لو وصل إليهم يستطيع أن يقودهم ضد بني أمية؛ لأن قلوب أهل الكوفة معه عليه السلام وضد بني أمية، وإن كانوا قد شهروا سيوفهم ضد الإمام عليه السلام، وهذه القضية قد أكّدها بعضهم، والشاهد على هذا أنّ الإمام عليه السلام لما نزل الصفاح المنزل الثاني بعد مكة التقى بالفرزدق ـ الشاعر المعروف ـ وسأله عن أوضاع الكوفة، فأجاب الفرزدق: (من الخبير سألت: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية...) [٣٣].

وهذا الكلام نفسه سمعه في موضع عذيب الهجانات ـ الموضع الثاني عشر بعد مكة ـ حيث إنّه بعد ما التقى الإمام الحسين بجيش الحرّ، ولحق أربعة نفر من أهل الكوفة بجيش الحسين سألهم الإمام عن أوضاع الكوفة، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي ـ وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه ـ: (أمّا أشراف الناس، فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم، يستميل ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم إلبٌ واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعد، فإنّ أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك) [٣٤].

هذا هو استعداد أهل العراق القلبي، ومحبتهم للإمام عليه السلام، حتى أنّه احتجّ عليهم عندما التقى بجيش الحرّ وفي يوم عاشوراء، فكان يقول لهم: (أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبُكم وقدِمتْ عليّ رسلُكم: أن اقْدِم علينا؛ فإنّه ليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإن كنتم على ذلك، فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم) [٣٥].

فرغم هذه الخطابات التي قيلت للإمام عليه السلام، ورغم أنّه قد أُخبر بمقتل

مسلم بن عقيل وهاني، ومع علمه بأوضاع الكوفة، إلاّ أنّه لم ييأس منهم، ويرى أنّهم على مفترق طريقين، وأنّهم إلى الآن يمكنهم أن يختاروا الإمام الحسين عليه السلام، ويمكنهم أنّ يحققوا الهدف الذي كان ينشده الإمام، والذي كانوا هم يبحثون عنه أيضاً.

ب ـ الأمر الواقع يفرض نفسه

من الواضح أنّ يزيد لم يجعل للإمام عليه السلام في المدينة خياراً غير البيعة أو القتل، مع أنّ الإمام لم يفعل شيئاً حتى الآن، ومَن دبّر المؤامرة لقتله في مكة كان عالماً بأوضاعه عليه السلام، وكان يراقبه بعنوان أنّه العدو من الدرجة الأُولى؛ كي يجتثّه عن طريقه، وخصوصاً بعد أن تحرّك الإمام عليه السلام من مكة، وأرسل رسوله وسفيره مسلم بن عقيل إلى الكوفة؛ الأمر الذي أدّى تلقائياً إلى أن يواجهوا الإمام عليه السلام بما هو منتفض ومتمرّد ـ كما يدَّعي أعداؤه ـ فوجدوا ذريعة لقتل الإمام عليه السلام، ولا سيما بعد حركته من مكة، فإنّه قد تقدّم خطوة في طريق النهضة، واستمرّ في السير على هذا الطريق؛ لأنّه يعلم أنّ الدولة تبحث عنه، وهدفها قتله وقتل أصحابه، كما ذكر الشيخ التستري في الخصائص: (إنّهم جدّوا في إلقاء القبض عليه، أو قتله غيلة ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة) [٣٦].

إنّ التوجيه العقلائي لاستمرار الإمام الحسين عليه السلام في النهضة ـ بعد أن سمع شهادة صاحبه ـ هو الدخول في طريق لا رجعة فيه، أي إنّه لم يكن الأمر بنحوٍ لو ترك الاستمرار في التحرُّك، وذهب إلى مكان آخر كان في مأمن من الحكومة الظالمة؛ ومن هنا اكتفى الإمام عليه السلام بالاعتماد على الاستعداد القلبي لأهل الكوفة ظاهراً، واستمرّ في تحركه [٣٧].

٧ـ لماذا النزول في كربلاء؟

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا البحث هو: هل أنّ لنزول الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء

توجيهاً عقلائياً؟

والجواب عن هذا: إنّه بعد أن التقى الإمام الحسين عليه السلام بجيش الحرّ في منطقة شراف، وكانت مهمة الحرّ هي منع الإمام الحسين عليه السلام من التوجه نحو الكوفة، وكان الإمام عليه السلام قد صمم على الاستمرار في المسير نحو الكوفة، ولكنّهم قد التجأوا ـ وباقتراح من الحرّ ـ إلى الاتّفاق على اختيار طريق وسط لا يؤدي إلى الكوفة ولا يرجعه إلى المدينة، واتّفقوا على أن يتياسر الحسين عليه السلام في السير نحو طريق القادسية وعذيب الهاجنات، إلى أن يكتب الحرّ إلى ابن زياد في أمره...[٣٨].

وبعد مدّة جاء الرسول من الكوفة فدفع كتاباً للحرّ جاء فيه: (أمّا بعد، فجعجعْ بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلاّ بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام)[٣٩].

فأنزل الحرُّ الإمام عليه السلام بأمر من ابن زياد في منطقة، تَبيَّن لهم بعد السؤال عن اسمها أنّهم بالقرب من قرية نينوى التي هي بالقرب من منطقة كربلاء[٤٠]؛ ومن هنا فدخول الإمام عليه السلام إلى كربلاء فيه جنبة إجبارية ـ حسب الظاهر ـ ولا بدّ له أن يتوقف في هذه المنطقة[٤١].

٨ ـ لماذا الشهادة؟

السؤال الأخير في هذا القسم من المقالة هو: إذا كان لتحرّك الإمام توجيه عقلائي، فإلقاء أشخاص قليلين في الموت والتهلكة في قبال ذلك الجيش الكبير، كيف يمكن أن يكون عقلائياً؟

والجواب هو:

١ـ استجابة الإمام الحسين عليه السلام لطلب أهل الكوفة

إنّ الإمام قد ذكر مراراً في الأيام الأخيرة أنّه إنّما جاء إلى هذه المصر لأجل كُتُبِ أهل الكوفة،

وإذا هم عدلوا عن رأيهم وما جاءت به كتبهم؛ رجع من حيث أتى، والشاهد على ذلك: إنّه لمّا جاء قرة بن قيس الحنظلي إلى الإمام الحسين عليه السلام وأوصل رسالة عمر بن سعد للإمام عليه السلام، قال الإمام عليه السلام له: (كتَبَ إليّ أهلُ مصركم هذا أن اقْدِم، فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم) [٤٢].

وقد ذكّرهم الإمام الحسين عليه السلام مرّة أُخرى في يوم عاشوراء، فقال: (أيّها الناس، إن كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض) [٤٣].

فهذه الأُمور تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام لم يكن ليضع نفسه أمام سيوف الأعداء من دون تقييم الأمور وموازنتها، وكان يحتجّ عليهم إلى آخر لحظة بعهودهم وكتبهم، وكان يتحيّن الطرق لحلّ المشكلة، كما كان أيضاً يُحرِّك عواطفهم ومشاعرهم كأن يذكّرهم بنسبه من رسول الله[٤٤]؛ لعلهم ينضمّون إليه.

٢ـ حصار العدو للإمام الحسين عليه السلام والتشديد عليه

ضيّق حاكم الكوفة على الإمام عليه السلام إلى درجة لم يكن للإمام عليه السلام إلاّ خياران: إمّا البيعة، أو القتل، والشاهد على هذا أنّه قد ورد فيما يتعلّق بالمكاتبة التي وقعت بين عمر بن سعد ـ الذي كان يحب أن لا تنتهي القضية إلى الدماء ـ وبين ابن زياد، أنّ عمر كتب كتاباً كذب فيه وهو: إنّ الإمام قد عرض عليهم أنّه يذهب إلى يزيد ويضع يده بيده ولكن كان جواب ابن زياد ـ بتحريض من الشمر ـ: (أمّا بعد، فإنّي لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً، انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم؛ فإنّهم لذلك مستحقون، فإن قُتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره؛ فإنّه عاقّ مشاقّ قاطع ظلوم... وإن أبيت، فاعتزل عملنا

وجنـدنا، وخـلِّ بـين شـمر بـن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قـد أمرناه بأمرنا، والسلام) [٤٥].

فكتـاب ابـن زيـاد هـذا كـان مـن الشدّة إلى حدّ بحيث كـان يهـدد حتـى قائد الجيش بالعزل من منصبه، فيما إذا قصّـر فـي أوامـر ابـن زيـاد، والـذي يشهد بـذلك الإجـراءات الشـديدة التـي اتّخـذوها بشـأن الإمـام الحسـين عليه السلام مـن حـبس المـاء عليـه وعلـى أصحابه[٤٦]، ومجـيء الجـيش الجـرّار والإصرار الكبير على البيعة ليزيد.

٣ـ إباء الذلّ والعار

بعـد أنّ طُرحـت حلـول للمصـالحة والمسـالمة؛ رأى الإمـام الحسـين عليه السلام أخيراً أنّ العدو يريـد لـه الـذلّ والهـوان، فبنـاءً علـى مـا ندّعيـه مـن ثوريـة الإمام عليه السلام وإبائه الضيم، حـان الوقـت الآن وفـي يـوم عاشـوراء أن يعلـن الإمـام عليه السلام عـن موقفـه، فنـادى: (ألا وإنّ الـدّعي وابـن الـدّعي قـد ركـز بـين اثنتين، بين السلّة والذلّة، هيهات منّا الذلّـة) [٤٧]، ثـم قـال: (ألا قـد أعـذرت وأنذرت، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصـر) [٤٨].

فإذا كان الإمـام الحسـين عليه السلام قـد سـلّم نفسـه وأصـحابه للشـهادة، فإنّمـا فعـل ذلـك بعـد أن أظهـر التجـاوب والحلم الكثير معهم، واسـتخدم جميـع الطـرق التـي تحـول دون تحقـق تلـك الواقعـة مـن إلقـاء الحجـج، وتأنيـب الضمائر وما شـاكل ذلـك، ولكـنّ العـدو قـد أظهـر القسـوة والشـدّة والإلحـاح والإصـرار، ولـم يقنعـوا إلا باستسـلام الإمام الحسين عليه السلام وأصـحابه؛ حينئـذٍ لم يكن الإمام عليه السلام ليقبل العار والذلّـة، وكـان مسـتعداً لأن يبـذل نفسـه فـي سبيل أهدافه المقدّسة بوصـفه الـزعيم الديني والقائد الثوري الأبيّ؛ كي يسـقي بدمه الطاهر براعم الحقّ والعدالـة، وإذا لم تكن تثمر في ذلك الوقت، فـلا أقـل تبقـى إلـى أن يـأتي الوقـت المناسـب لإثمارها.

الهوامش

[١] قامت هيئة التحرير بإجراء بعض التغييرات على الترجمة بما يناسب طريقة وأُسلوب المقال باللغة العربية.

[٢] وإن كان قد أُخذ الإطار العامّ للتقسيم المذكور من الأستاذ الشهيد المطهري، لاحظ: المجتمع والتاريخ، نشر صدرا: ص٦٥ــ٥٨، إلا أننا اقترحنا تبديل القسم الثاني من التاريخ العلمي إلى التاريخ العقلي، وقد اشتمل على توضيحات جديدة، وأيضاً قد طرح هيجل هذا الموضوع بشكل أكمل وأكثر تفصيلاً؛ حيث إنّه يعتقد أنّ التاريخ على ثلاثة أنواع: النوع الأول من التاريخ هو الأدلّة العينيّة للحوادث، وهذا النوع هو التاريخ العلمي الثورة الفكرية، والنوع الثاني: ينقسم إلى ستة أقسام فرعيّة أُخرى، لم نذكرها مراعاة للاختصار، والنوع الثالث: التاريخ الفلسفي. ولأجل التفصيل راجع: ك. و. هيجل، العقل في التاريخ، ترجمة حميد عنايت، مؤسسة النشر العلمي جامعة صنعتي شريف ١٣٦٦: ص ١٦ ـ ١٨ المقدمة، وص١ـ٥٥ من أصل الكتاب.

[٣] إنّ أول شخص في العالم الإسلامي نظر إلى الوقائع برؤية تأريخية عقلية هو ابن خلدون الأندلسي، وقد توصّل من خلال دراسته لتاريخ الأجيال المختلفة إلى قاعدة العصبية التي تعدّ هي البنية التحتية والأساس للحصول على القوة والقدرة، أو زوال القبائل والحضارات.

ومن هنا؛ قد تعامل مع قضية كربلاء وبحثها على هذا الأساس، حيث ذكر في مقدمة كتابه المشهور: (والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون مَن سواه إنّما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم، باتّفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذٍ من بني أُمية). تاريخ ابن خلدون المقدمة: ج١، ص٢١٠. وقال أيضا: (وأمّا الحسين، فإنّه لمّا ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين: أن يأتيهم فيقوموا بأمره. فرأى الحسين أنّ الخروج على يزيد متعيّن من أجل فسقه، لا سيما مَن له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته، فأمّا الأهلية فكانت كما ظن وزيادة، وأمّا الشوكة فغلط يرحمه الله فيها؛ لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية عبد مناف إنّما كانت في بني أُمية... فقد تبيّن لك غلط الحسين، إلاّ أنّه في أمر دنيوي لا يضره). أُنظر: مقدمة تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٢١٦. ولسنا الآن في صدد مناقشة وبحث نظرية ابن خلدون.

[٤] المطهري، مرتضى، تحريفات عاشوراء، حزب الجمهورية الإسلامية: ص١٨، ومن الضروري الانتباه إلى أنّ هذا الكتاب قد ناقش هذه الحوادث مفصّلاً.

[٥] لم يُتوسع في البحث من هذه الناحية، ولكن هناك كتباً بحثت هذا الأمر، أفضلها: اللؤلؤ والمرجان للمرحوم النوري، وتحريفات عاشوراء للشهيد المطهري الذي اعتمد فيه على كتاب المرحوم النوري.

[٦] المطهري، مرتضى، تحريفات عاشوراء: ص٢١.
[٧] المصدر نفسه: ص ٦ـ ١٥.
[٨] المصدر نفسه: ص٣ـ ٦٢.
[٩] لأجل أن لا تكون هناك مشكلة من حيث السند، قمنا بنقل أهم شواهد هذا القسم عن مصدر يبدو أنّه من أفضل المصادر التاريخية سنداً في واقعة كربلاء، وقد طبع هذا المصدر من قبل مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، وهو كتاب وقعة الطفّ لأبي مخنف، لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، طبع سنة ١٣٦٧ش، وهذا الكتاب يتمتع بمزايا كثيرة، وأرى من الضروري أن أتحدَّث عن هذا الكتاب ومؤلفه ليتعرَّف المحققون على حادثة كربلاء.
من الأُمور الواضحة لمحققي تاريخ الإسلام أنّ أبا مخنف المتوفّى سنة١٥٨ هجري قمري أول مَن ألّف كتاباً بشأن واقعة كربلاء باسم مقتل الحسين، ومن تلامذته هشام بن محمد بن سائب الكلبي الكوفي، وقد كتب هشام الكلبي أيضاً كتاباً بنفس ذلك العنوان بعد أن استفاد من كتاب أُستاذه وأضاف إليه، وقد اعتمد مشهور المؤرخين لتاريخ الإسلام ـ كالواقدي، والطبري، وابن قتيبة، والمسعودي، والشيخ المفيد، والشهرستاني، وابن أثير الجزري وإلخ.. ـــ على هذين الكتابين في بحثهم حول وقعة كربلاء.
وكتاب مقتل الحسين لأبي مخنف مفقود في الوقت الحاضر، وقد أُوردت على الكتاب ـ المطبوع بنفس هذا العنوان، والموجود في المكتبات والذي يستند إلى كتاب وقعة الطفّ ـ عدّة إشكالات؛ لعدم العلم بزمان ومكان تأليفه وطبعته الأُولى؛ ولوجود مشاكل في محتواه؛ فإنه توجد فيه عدّة أحاديث تعدّ مرسلة؛ ولأجل وجود الأخطاء الفاحشة في هذا المقتل المتداول والشائع الآن فقد أُشكل عليه بعشرين إشكالاً أساسياً؛ ولذلك فهو ساقط عن الاعتبار.
ومن جملة مزايا كتاب وقعة الطفّ أنّه توجد في بداية الكتاب مقدمة تحتوي على ٦٦ صفحة قد بُحث فيها بشكل تحقيقي عن أبي مخنف وإسناد أبي مخنف وردّ المقتل المشهور، وبعد أن استُخرجت مطالب أبي مخنف الموجودة في الكتاب من الكتب التاريخية المشهورة تمّ تطبيق تلك المطالب في الحاشية مع الكتب التاريخية المشهورة، مثل تاريخ الطبري، وإرشاد الشيخ المفيد و...
وبكلمة واحدة: إنّ هذا الكتاب جامع لكلّ المقاتل والمصادر المعتبرة في واقعة كربلاء.
[١٠] من الواضح أنّ الطريق الذي يوضّح واقعة كربلاء لا ينحصر بالتاريخ العقلي، وهذه المقالة لا تنكر وجود طرق أُخرى أعلى من العقل كالقلب و المودّة و... بل إنّها تدّعي أنّ التبيين العقلي لواقعة كربلاء يتمتّع بأنّه القدوة الفضلى عند الناس.
[١١] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص٧٥.
[١٢] المصدر نفسه: ص٧٤، في الحاشية.
[١٣] محمد تقي، ناسخ التواريخ: ج٦، ص٦ـــ ١٦٥. اُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢.
[١٤] المصدر نفسه: ص١١٨.

[١٥] لاحظ الحاشية رقم ٢.
[١٦] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص٨٠
[١٧] روي أنّ العدد الذي حاصر القصر ٣٠ إلى ٥٠ شخص. أُنظر: ناسخ التواريخ: ج ٦، ص١٦٦.
[١٨] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص٨٠.
[١٩] الأمين، سيد محسن، الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، ترجمة إدارة جميع المراكز، العلاقات العامة، وزارة الثقافة والإعلام الإسلامي، الطبعة السادسة: صيف ١٣٦٩.
والجدير بالذكر أنّ الكتاب المذكور هو قسم من كتاب أعيان الشيعة، الذي كتبه المؤلف في ٥٦ مجلداً، والمجلد الأول من هذه الموسوعة عبارة عن دراسة حقيقة التشيّع والجواب عن الأسئلة المتعلّقة بذلك، والمجلد الثاني يتحدَّث عن حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والمجلد الثالث عن حياة الإمام علي عليه السلام، والمجلد الرابع عن حياة بقية الأئمة عليهم السلام، والمجلدات الأُخرى فيها دراسة عن حياة علماء الشيعة على مدى التاريخ. أُنظر أيضاً: أعيان الشيعة: ج١، ص٥٨٨.
[٢٠] آل عمران: آية ٧٩. وراجع لأجل الاطّلاع على الأقوال بشأن الحرم الآمن، مجمع البيان، ج٤، ص١٧٤ الناشر: مؤسسة انتشارات فرهاني.
[٢١] هذا ما استفاده الإمام الخميني قده في هذا الموضع تحت عنوان البراءة من المشركين
[٢٢] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٦.
[٢٣] الأمين، سيد محسن، الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام: ص١٨٦. وأُنظر: أعيان الشيعة: ج١، ص٥٩٥.
[٢٤] المصدر نفسه: ص١٨٠. أُنظر: الأمين، سيد محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٥٩٤.
[٢٥] المصدر نفسه: ص١٧٥ــ ١٧٦. أُنظر: الأمين، سيد محسن، لواعج الأشجان: ص٦٩.
[٢٦] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص١٥٢.
[٢٧] المصدر نفسه: ص١٥٢ـ ١٥٣.
[٢٨] الأمين، سيد محسن، الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام: ص١٥٦. وأيضاً: أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص٩٣.
[٢٩] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص٩٦
[٣٠] المصدر نفسه: ص١١١ـ ١١٢
[٣١] الأمين، سيد محسن، الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام: ص١٧٦.
[٣٢] قال عبد الله بن عباس مقترحاً على الإمام عليه السلام: (لا تقرب أهل العراق وأقم بهذا البلد؛ فإنك سيد أهل الحجاز، فإن أبيت إلاّ أن تخرج فسرْ إلى اليمن...). أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ: ص١٥١. أمّا بالنسبة إلى عدم تمكّن الإمام عليه السلام من البقاء في الحجاز، فهذا ما أقمنا الدليل عليه في البحث السابق، وأمّا بالنسبة إلى الذهاب اليمن، فلا نرى في اليمن أي أرضية مناسبة لذلك، وترجيحها على الكوفة، مع كلّ ما تتمتع به من مواصفات أمر غير معقول.
[٣٣] أبو مخنف، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ:

ص١٥٨.

[٣٤] المصدر نفسه: ص١٧٤.

[٣٥] المصدر نفسه: ص١٦٩.

[٣٦] المصدر نفسه في الحاشية: ص١٤٩

[٣٧] هـذه التوجيهـات لا تتنـافى مـع علـم الإمام عليه السلام؛ لأنّ الإمـام عليه السلام لديـه تكليـف كبقية الناس، ولم يكن الإمـام عليه السلام ليسـتفيد من علمه لمصالحه الشخصيّة، ثمَّ إن محل هذا البحـث في علـم الكـلام في بـاب علـم الإمـام عليه السلام، ولـيس محلـه في مثـل هـذه المقالات.

[٣٨] أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيي، وقعة الطفّ: ص١٧١

[٣٩] المصدر نفسه: ص١٧٧.

[٤٠] كربلاء ليست اسماً لقرية، بل هي منطقة تقع فيهـا قريـة نينـوى. أُنظـر: المصـدر نفسـه: ص١٧٩ في الحاشية.

[٤١] ننبّه مرّة أُخـرى علـى أنّ هـذا الأُسـلوب العادي لحركة القافلة الحسينيّة لا ينافي علـم الإمام الحسين عليه السلام بأنّه لا بـدّ أن يـأتي إلى كربلاء، بل إنّ طريقة البحث في المقالـة هـي للجواب عمَّن يتصـور أنّ الإمـام عليه السلام إنّمـا جاء إلى كربلاء كي ينـال الشـهادة ويكـون شفيعاً للأمّة، والمقالة تدّعي أنّ حركة الإمـام الحسـين عليه السلام كانـت طبيعيـة ومنطقيـة إلى درجة بحيث إنّ كلّ قائد ثوري يعيش هـذه الظـروف سيصـل إلى النتيجـة نفسـها، وإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد عمل بتكليفه الشرعي والعقلي.

[٤٢] أبو مخنف، لوط بن يحيي، وقعة الطـفّ: ص١٨٤ـ ١٨٥.

[٤٣] المصدر نفسه: ص٢٠٩.

[٤٤] المصدر نفسه: ص٢٠٦.

[٤٥] المصدر نفسه: ص١٨٧-١٨٨، والذي يؤكد هذا الادّعاء الكاذب من عمر بن سعد هو ما ذكره عقبة بن سمعـان. أُنظـر: الأمـين، سـيد محسن، الإمام الحسن والإمام الحسـين عليهما السلام: ص٢٠٧ـ٢٠٨.

[٤٦] أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيي، وقعة الطفّ: ص١٩٠ـ ١٩١.

[٤٧] الأمين، سيد محسن، الإمام الحسن والإمـام الحسين عليهما السلام: ص ٢٢٣. وأُنظر: الأمين، سيد محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٣

[٤٨] المصدر نفسه: ص٢٢٤. وأُنظر: الأمين، سيد محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص٦٠٣.

المَشيُ لِزيارَةِ الإمامِ الحُسَينِ عليه السلام وَباقِي الأَئِمّةِ عليهم السلام

- دِراسَةٌ فِي المَوازِينِ الفِقهِيّةِ -

❖ **الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي** [1]

(١) باحث اسلامي/حوزة قم المشرفة.

مقدّمة

إنّ تلك الجموع التي تسير كلّ عام لزيارة الأربعين مشياً على الأقدام وبمرأى من العالم بأسره ومن كلِّ مكان لهي من أبرز مظاهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهي تُظهر بحقٍّ انتصار الإمام الحسين عليه السلام على الطُغاة، على مدى التاريخ وإلى يوم القيامة، وإنّ تلك الشعيرة التي تتجلّى في كلّ عام قد أدهشت وحيَّرت عقول المخالفين، وأدخلت السرور والبهجة على قلوب الموالين.

قد حاول البعض السعي بشتّى الطرق والوسائل للوقوف ضدّ هذه الشعيرة العظيمة التي تمثّل شوكة في عيون الظالمين، ففي كلّ عام تصدر من أولئك المخالفين حملات دعائية وأفكار باطلة وشبهات مغرضة؛ لأجل الوقوف أمام هذه الشعيرة العظيمة، فتراهم في كلّ عام يتهيّؤون ويستعدّون لبثّ الحجج الواهية، والحيل المبتكرة والإشكاليات التي لا أساس لها سوى تضليل وإيهام الناس الذين ليس لهم حظّ من العلم.

ومن هذا المنطلق، نجد من اللازم والضروري الإجابة عن كل شبهةٍ أُثيرت أو قد تثار في وجه هذه الشعيرة المباركة أيّاً كان مُثيرها، عن قصدٍ أو مِن دون قصد. وهذه المقالة مكرسة لإثبات استحباب هذه الشعيرة، وإثبات عظمة ثواب مَن يقيم هذه الشعيرة بالدليل القاطع من السنّة المباركة، ثمَّ بعد ذلك نعرّج على تزييف الشبهات

التي يحاول المغرضون بثّها لضعاف القلوب، ونقوم بدحرها وردها بحجّة دامغة، ثمَّ نختم الكلام ببعض آداب الزيارة التي ينبغي للزائر أن يتحلّى بها خلال سيره إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والثواب الذي يترتّب عليها، حتى تعطي هذه الشعيرة ثمارها ونتائجها الحسنة.

إذن؛ فيقع الكلام في تمهيد وثلاث جهات:

الجهة الأُولى: إثبات استحباب المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام.

الجهة الثانية: الإشكاليات والشبهات المثارة حول المشي، والجواب عنها.

الجهة الثالثة: بعض آداب الزيارة مشياً، وثواب السير مشياً إلى الإمام الحسين عليه السلام.

تمهيد

قبل الولوج إلى البحث ينبغي أن نمهّد لبعض الأمور المهمّة، وهي:

١ـ نبذة تاريخية عن المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام

ترجع شعيرة المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً ـ كما جاء في بعض الروايات ـ إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريرضي الله عنه حيث إنّه زار الحسين عليه السلام في يوم الأربعين مشياً على الأقدام، وكان جائياً من المدينة[1].

وكانت هذه الشعيرة ـ وهي المشي لزيارة الحسين عليه السلام ـ موجودة منذ زمن الأئمّة عليهم السلام؛ وذلك لأنّ وسائل النقل الدارجة في زمنهم عليهم السلام كانت عبارة عن أمرين:

الأول: ركوب الخيل والجمال والبغال والحمير.

الثاني: المشي على الأقدام.

لا شكّ في أنّ جملة من الناس لا يمتلك تلك الوسائل، فينتقل من مكان إلى آخر عن طريق المشي على الأقدام؛ ولذا كان الأئمّة يقولون: مَن

أتى قبر الحسين فإن كان ماشياً فله كذا وإن كان راكباً فله كذا. فهذا التقسيم يكشف عن وجود المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في تلك الفترة أيضاً.

وكان الناس في العراق منذ القدم يقصدون الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام في مناسبات معينة إلى يومنا هذا، وأوضح تلك المناسبات هي زيارة الأربعين، إلى أن جاء نظام البعث البائد فمنع هذه الشعيرة طيلة حكمه، ولم يترك الناسُ هذه الشعيرة، فكانوا يمشون إلى زيارته عليه السلام بالخفاء، وبسبب الاضطهاد والظلم في العراق انتقلت هذه الشعيرة بشكل واضح إلى الأضرحة المقدّسة في إيران وسوريا.

أمّا في إيران، فكان الناس يمشون من مدينة قمّ المقدّسة إلى مشهد المقدّسة، أو من مدينة نيشابور إلى مرقد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان.

وأمّا في سوريا، فكانوا يمشون من مرقد السيدة زينب إلى مرقد السيدة رقية أو بالعكس.

والأيام التي تُقام فيها هذه الشعيرة عادة هي العاشر من المحرَّم، ويوم الأربعين ٢٠ من شهر صفر وهو أبرزها، وأيام شهادة الزهراء عليها السلام، ويوم النصف من شعبان، ويوم عرفة ٩ ذي الحجّة.

٢ـ السرّ في اختصاص المشي بيوم الأربعين

تبرز شعيرة المشي على الأقدام بشكل واضح في زيارة يوم الأربعين يوم العشرين من شهر صفر، حيث يمشي الموالون على الأقدام قاصدين مرقد أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، بالرغم من أنّ هذه الشعيرة لا تختص بهذا اليوم؛ إذ سيأتي أنّ استحباب زيارة الحسين مشياً لا يختصّ بزيارة الأربعين، بل يُستحب في كل وقت، إذاً؛ فما هو السرّ فيما نراه اليوم من اختصاص المشي بزيارة الحسين يوم الأربعين؟ ولعل ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: إنّ أول مَن زار مرقد الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين مشياً على الأقدام هو الصحابي

الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه فالناس يزورون الحسين عليه السلام في هذا اليوم تأسّياً بهذا الصحابي الجليل، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد حثّ الأئمّة عليهم السلام على الزيارة في هذا اليوم وجعلوها من علامات المؤمن، قال الإمام العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٢]. وبضميمة الروايات الآتية الواردة في استحباب المشي لزيارة الحسين عليه السلام.

الثاني: إنّ هذا اليوم قد رجع فيه أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام من الشام إلى كربلاء، بعد ما لاقوا العذاب والعناء الشديد والظلم، وفي هذا اليوم حصل لقاء الإمام زين العابدين عليه السلام بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي جاء لزيارة الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام، فالموالون من الشيعة إنّما يزورن الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على عيال الحسين عليه السلام.

٣. علّة استحباب زيارة الأربعين ووجه التسمية

قال العلّامة المجلسي رحمه الله: «اعلم أنّه ليس في الأخبار ما العلّة في استحباب زيارة الحسين صلوات الله عليه في هذا اليوم، والمشهور بين الأصحاب أنّ العلّة في ذلك رجوع حرم الحسين صلوات الله عليه في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام، وإلحاق عليّ بن الحسين صلوات الله عليه الرؤوس بالأجساد... ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أنّه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في مثل هذا اليوم وصل من المدينة إلى قبره الشريف وزاره، فكان أول زائر له من الإنس ظاهراً؛ فلذلك يُستحب التأسي به»[٣].

أمّا وجه التسمية، فقال الشيخ الكفعمي: إنّما سمّيت بزيارة الأربعين لأنّ وقتها يوم العشرين من صفر، وذلك لأربعين يوماً من مقتل [الإمام] الحسين عليه السلام، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب النبي رحمه الله من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين، فكان أول مَن زاره من الناس، وفي هذا اليوم كان رجوع حرم الحسين عليهم السلام من الشام إلى المدينة[٤].

وهذا تمام الكلام في التمهيد، وأما الجهات الثلاث فهي:

الجهة الأُولى: استحباب المشي لزيارة الحسين وسائر الأئمّة عليهم السلام

قد ورد في الشريعة الإسلامية استحباب المشي حافياً أو غير حافٍ في مواضع عديدة، فيُستحب المشي للمسجد[٥]، ويستحب للإمام أن يمشي حافياً عندما يخرج لصلاة العيد[٦]، ويُستحب تشييع الجنازة ماشياً[٧]، ويستحب المشي للحجّ والعمرة[٨]، كما يُستحب عند رمي الجمرات[٩]، ويُستحبّ المشي لزيارة المؤمن[١٠]، فليس استحباب المشي أمراً غريباً عن الفقه، بل له نظائر، ومن جملة الموارد التي يُستحبّ فيها المشي هي زيارة مراقد الأئمّة عليهم السلام، وفي ما يلي نذكر بعض الأدلّة لإثبات استحباب المشي لزيارة الحسين عليه السلام، وسائر مراقد الأئمّة، وأنّ ثوابه يكون أكثر من ثواب الركوب، كما سنرى أنّ بعض الروايات تنصّ على استحباب التحفّي عند المشي، وأنّ استحباب المشي لا يختصّ بيوم الأربعين، بل يُستحبّ المشي في بقية المناسبات وبقية الأيام أيضاً.

الدليل الأول: الروايات الواردة في ثواب المشي لزيارة الحسين عليه السلام وسائر مراقد الأئمّة عليهم السلام

سنتكلّم في هذا الدليل عن الروايات الكثيرة الدالة على استحباب

المشي لزيارة الحسين عليه السلام، ثمَّ نتعرّض للروايات الدالّة على استحباب المشي لزيارة سائر الأئمّة عليهم السلام، فيقع البحث في نقطتين:

أ ـ الروايات الدالّة على استحباب المشي لزيارة الحسين عليه السلام

أمّا الروايات التي تنصّ على استحباب المشي لزيارة الحسين فهي:

١ـ «محمّد بن الحسن بإسناده، عن سعد بن عبد الله ومحمّد بن يحيى وعبد الله بن جعفرٍ وأحمد بن إدريس جميعاً، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عبد الجبّار النّهاوندي، عن أبي إسماعيل، عن الحسين بن عليّ بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ حسنةً وحطّ بها عنه سيّئةً، وإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافرٍ حسنةً وحطّ عنه بها سيّئةً حتّى إذا صار بالحائر كتبه الله من الصّالحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتّى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ، فقال له: أنا رسول الله، ربّك يقرئك السّلام، ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى»[١١].

٢ـ «وعن أبيه عن سعدٍ ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن بشيرٍ الدّهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الرّجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوةٍ مغفرة ذنبه، ثمّ لم يزل يقدّس بكلّ خطوةٍ حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله فقال: عبدي سلني أعطك، ادعني أجبك»[١٢].

٣ـ «وعن عليّ بن الحسين بن بابويه وجماعةٍ، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن العبّاس بن عامرٍ، عن جابرٍ المكفوف، عن أبي الصّامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له

بكلّ خطوةٍ الف حسنةٍ ومحا عنه الف سيّئةٍ، ورفع له الف درجةٍ، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك وامش حافياً وامش مشي العبد الذّليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبّر أربعاً، ثمّ امش قليلاً، ثمّ كبّر أربعاً، ثمّ ائت رأسه فقف عليه، فكبّر أربعاً وصلّ عنده وسل الله حاجتك»[١٣].

٤ـ «وعن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبانٍ، عن محمّد بن أورمة، عن رجلٍ، عن عليّ بن ميمونٍ الصّائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يا عليّ، زر الحسين ولا تدعه. قلت: ما لمن زاره من الثّواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ حسنةً، ومحا عنه سيّئةً وترفع له درجةٌ»[١٤]، وفي روايةٍ أُخرى: «فإذا أتاه وكّل الله به ملكين يكتبان ما يخرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرّ ولا غير ذلك، فإذا انصرفوا ودّعوه، وقالوا: يا وليّ الله، مغفور لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله، لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك ولا تطعمك أبداً»[١٥].

٥ـ «وعن أبيه، عن سعدٍ والحميريّ، عن أحمد بن محمّد بن خالدٍ، عن أبيه، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن الحسين بن الحكم النّخعيّ، عن أبي حمّادٍ الأعرابيّ، عن سديرٍ الصّيرفيّ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام، قال: ما أتاه عبدٌ فخطا خطوةً إلّا كتب الله له حسنةً وحطّ عنه سيّئةً»[١٦].

٦ـ «وعن محمّد بن جعفرٍ الرّزّاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن أحمد بن بشيرٍ، عن أبي سعيدٍ القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفةٍ له فسمعته يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ وبكلّ قدمٍ يرفعها ويضعها عتق رقبةٍ من ولد إسماعيل»[١٧].

٧ـ «عن جعفر بن محمد عليهما السلام: أنّه سُئل عن الزائر لقبر الحسين عليه السلام، فقال: مَن اغتسل في الفرات، ثمَّ مشى إلى قبر الحسين عليه السلام كان له بكلّ قدم يرفعها ويضعها حجّة متقبّلة بمناسكها»[١٨].

وكثرة هذه الروايات وتعدّد طرقها يُغنينا عن البحث في سندها، فإنّ ذلك يوجب الاطمئنان بصدورها، وتدلّ هذه الروايات على أنّ مَن زار الحسين ماشياً فله من الثواب ما يأتي:

١ـ تُكتب له بكلِّ خطوة حسنة، وتُمحا عنه سيئة، ويُرفع له درجة.

٢ـ يُكتب له بكلِّ خطوة ألف حسنة، وتُمحا عنه ألف سيئة، ويُرفع له ألف درجة.

٣ـ يُكتب له بكلِّ خطوة ثواب حجّة متقبَّلة بمناسكها.

٤ـ يُكتب له بكلِّ خطوة عتق رقبة من وُلد إسماعيل.

والعمل الذي له هذا المقدار من الثواب لا شكّ في أنّه من المستحبّات المؤكّدة.

ب ـ الروايات الدالة على استحباب المشي لزيارة سائر الأئمّة عليهم السلام:

١ـ يدلّ على استحباب المشي لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام بالخصوص ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً، كتب الله له بكلّ خطوةٍ حجّةً وعمرةً، فإن رجع ماشياً، كتب الله له بكلّ خطوةٍ حجّتين وعمرتين»[١٩].

٢ـ ويدلّ على استحباب المشي لزيارة الأئمّة بشكل عامّ ما رواه الصدوق قدس سره في ثواب الأعمال والمشهدي قدس سره في كتاب المزار، والسند صحيح في كليهما.

«قال: قلت للرضا عليه السلام: ما لِمَن أتى قبر أحد من الأئمّة عليهم السلام؟ قال عليه السلام: له مثل ما لِمَن أتى قبر أبي عبدالله عليه السلام. قلت: ما لِمَن زار قبر أبي الحسن عليه السلام؟ قال: مثل ما لِمَن زار قبر أبي عبدالله عليه السلام»[٢٠].

وتقريب الاستدلال بها:

إنّ قول الراوي: «ما لمَن أتى قبر أحد من الأئمّة؟». يشمل بإطلاقه جميع الأئمّة عليهم السلام، وقد أجابه الإمام: «له مثل ما لمَن أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام». وهذا يعني أنّ زيارة الأئمّة الباقين مستحبّة كاستحباب زيارة

الحسين عليه السلام، هذا بالنسبة إلى أصل الزيارة.

وأمّا استحباب المشي إلى زيارة سائر الأئمّة عليهم السلام، فيقال فيه: بعد ما ثبت استحباب زيارة سائر الأئمة عليهم السلام وإنّ زيارتهم كزيارة الإمام الحسين عليه السلام. وبضميمة الروايات الأُخرى الدالة على أفضليّة المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام على الركوب لزيارته، حينئذٍ يثبت أفضليّة المشي واستحبابه لزيارة بقية الأئمة عليهم السلام. كما في التفصيل المتقدم في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

قال التبريزي: «وظاهر هذه الرواية ـ القريب من التصريح ـ أنّ السؤال الأول راجع إلى ثواب الإتيان، فإذا كان المشي في الإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام أفضل من الركوب لزيارته، كما أشرنا إلى الروايات فيه؛ فيكون الثواب في الإتيان لزيارة سائر الأئمّة عليهم السلام مشياً وركوباً كالإتيان لزيارة أبي عبد الله عليه السلام»[٢١].

وقال السيد الحائري: «وردت روايات عديدة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ماشياً، ولكنّي لم أجد ذلك في المشي في زيارة الإمام الرضا عليه السلام، نعم الروايات في أصل الثواب في زيارة الإمام الرضا عليه السلام كثيرة، من دون فرق بين المشي والركوب»[٢٢].

الدليل الثاني: قول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال أحمزها»

الرواية الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال أحمزها»[٢٣]، وهي من الروايات الصحيحة، بل المستفيضة، كما قال الشهيد الثاني[٢٤]، وقد عبَّر صاحب البحار عن الحديث بالمشتهر بين العامّة والخاصّة[٢٥]، والمراد من أحمزها: أي أشدّها وأمتنها وأكثرها مشقّة، ومعنى الحديث: أنّه إذا ثبت كون العمل عبادة لله تعالى، فكلّما كان امتثال تلك العبادة بنحو أصعب وأشدّ كان الثواب أكثر، فالأجر على مقدار

المشقّة، فمثلاً الصوم في الحرّ يكون ثوابه أكثر من الصوم في البرد؛ لأنّه أشقّ وأصعب.

وكذا الكلام في زيارة الحسين عليه السلام، وزيارة سائر مراقد الأئمّة عليهم السلام، فلا شكّ في أنّ زيارة مراقدهم عبادة؛ لأنّها مستحبّة إن لم نقل: واجبة، فكلّما جاء الإنسان بالعبادة بنحو أشدّ تعباً، وأكثر مشقّة كان مقدار ثوابها أكثر وأعظم، فالمشي لزيارة مراقد الأئمّة عليهم السلام أشدّ من الركوب، وكلّما كانت المسافة أطول، والوضع الأمني أخطر كان الثواب والأجر أكبر وأعظم، فهذا يدلّ على أنّ المشي لزيارة الأئمّة عليهم السلام أفضل من الركوب، وأجره أكثر من ثواب الركوب بلا شكّ.

الدليل الثالث: قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرَّمها على النّار

لا شكّ في أنّ زيارة مراقد الأئمّة عليهم السلام من أهمّ السبل المؤدّية إلى الله تعالى، فهي من أوضح مصاديق سبيل الله، كما أنّ من أوضح مصاديق اغبرار القدمين هو أن يقصد الإنسان زيارة مراقد الأئمّة عليهم السلام ماشياً؛ فإنّ ركوب السيارة قد لا يتحقق معه اغبرار القدمين؛ وحينئذٍ فزيارة الأئمّة عليهم السلام ماشياً من أوضح مصاديق هذا الحديث، وهذا يدلّ على الثواب العظيم في المشي.

قال المحقق الأردبيلي: «عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: مَن اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمهما على النّار. ويمكن الاستدلال بها على الحفاة في الحرم، وعلى صلاة الجنازة. بل مطلق العبادة، مثل زيارة الحسين عليه السلام وغيرها»[٢٦].

الدليل الرابع: إن المشي فيه إظهار للخضوع والتذلل لله تعالى وتعظيم لشعائره

إنّ في المشي لزيارة الأئمّة عليهم السلام جانبين:

١ــ إظهار الخضوع والتذلل لله

تعالى، ولا سيما إذا كان حافياً، ويمكن أن يستأنس لهذا الحكم بعدة أُمور:

منها: عدم جواز الصلاة بالنعل لمنافاته الخضوع والاحترام.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٢٧].

فمن ذلك يُستأنس أن للتحفّي مدخلية في إظهار الخضوع والتذلّل لله تعالى.

ومنها: استحباب المشي حافياً لصلاة العيد والمشي إلى المسجد؛ ولذا استُدلّ على استحباب المشي في الطواف بأنّه أنسب بالخضوع والاستكانة[٢٨].

٢ــ إظهار التعظيم والاحترام لشعائر الله تعالى؛ ومن هنا يُستحب المشي في الحجّ والعمرة، وعند السعي بين الصفا والمروة، وعند رمي الجمرات، ويمكن أن يقال: إنّ المشي حافياً وراء الجنازة أيضاً فيه جنبة تعظيم لشعائر الله تعالى، واحترام للميت، والملائكة الذين يحفّون به، وكذا المشي لزيارة المؤمن.

وعليه؛ فإذا مشى المؤمن لزيارة الأئمّة عليهم السلام يكون قد أدّى ثلاث عبادات، الأُولى زيارة الأئمّة عليهم السلام، والثانية: الخضوع والتذلل لله تعالى، والثالثة: تعظيم شعائر الله تعالى؛ ومن هنا يتضاعف ثواب الزائر.

الدليل الخامس: الاستدلال برواية زيارة المؤمن

إنّه يُستحب المشي لزيارة المؤمن، وللماشي بكلّ خطوة حتى يرجع إلى أهله عتق مائة رقبة، وقد جاءت الروايات في استحباب ذلكَ، قالَ النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَشَى زَائِراً لِأَخِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ إلى أَهْلِهِ عِتْقُ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَيُرْفَعُ لَهُ مِائَةُ الفِ دَرَجَةٍ، وَيُمْحَا عَنْهُ مِائَةُ الفِ سَيِّئَةٍ»[٢٩].

فإذا كان المشي إلى زيارة المؤمن مستحباً وله بكلّ خطوة عتق رقبة، فما بالك بالمشي إلى زيارة الأئمّة المعصومين وسادات المؤمنين وحجج الله في الأرضين عليهم السلام؟! فيكون

المشي لزيارتهم مستحبّاً بطريق أولى.

فإن قيل: إنّ هذا يختصّ فيما لو كان الأئمّة أحياءً؛ فيكون المشي لزيارتهم فيه الثواب والأجر، وأمّا في حالة الموت فلا يتحقق الثواب في الزيارة.

فالجواب: إنّ الأئمّة عليهم السلام ليسوا أمواتاً، بل هم أحياء عند ربهم؛ طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣٠]، وقد جاء في زيارة الأربعين: «أشهد أنّك تسمع الكلام وترد الجواب»[٣١].

الجهة الثانية: الإشكالات والشبهات والجواب عنها

هناك عدّة إشكالات وشبهات طرحها بعض العامّة من المخالفين أو غيرهم، وهي لا تعدو عن كونها شبهات لا تصمد أمام الحقائق العلميّة النيّرة، ولكن لمّا كان هناك جملة من الناس ممّن قد يقع تحت تأثير هذه الأباطيل والحملات الدعائية؛ لذا كان من الضروري طرحها لأجل ردّها ودحرها بالدليل القاطع والحجّة الدامغة.

الإشكال الأول: قطع المسافات يستلزم الضرر

إنّه لو سلَّمنا أنّ المشي على الأقدام مستحبّ وفيه ثواب، لكن ذلك إذا لم يترتّب عليه ضرر، فإنّه إذا ترتّب عليه الضرر فلا يستحبّ، بل يحرم، فمثلاً: لو كان المشي لزيارة الحسين عليه السلام يسبب تورّم القدمين أو يسبّب أمراضاً يطول بُرؤها، وقد لا تبرأ، فهنا من الواضح لا يجوز المشي حينئذٍ؛ لاستلزامه إضرار النفس والإعانة عليها.

الجواب:

إنّ الضرر على قسمين:

١ـ أن يعلم أو يحتمل المكلَّف بأنّ في هذا العمل ضرراً يؤدّي إلى هلاك نفسه، أو قطع عضو من أعضائه مثلاً.

٢ـ أن يعلم بأنّ هذا العمل فيه ضرر، ولكن هذا الضرر لا يؤدّي لا إلى

هلاك النفس ولا إلى قطع عضو من أعضائه.

ومن المعلوم أنّ المشي لزيارة الحسين عليه السلام ـ لو سلّمنا بوجود الضرر فيه ـ فإنّه لا يؤدّي إلى هلاك الإنسان عادة، أو قطع عضو من أعضائه فهو ضرر لا يُعتدّ به، بل إنّ في المشي منافع كثيرة، فإنّه يبعث على حيوية الإنسان ونشاطه، خصوصاً وأنّ الإنسان في عصرنا الحاضر أصبح قليل الحركة لتوفّر جميع مستلزمات النقل والانتقال الحديثة.

جاء في استفتاء قُدِّم للسيد الخوئي قدس سره: «سؤال ١٢٩٢: الأُمور المستحبّة إذا ترتّب عليها الضرر، فهل يجوز فعلها أم لا؟ مثلاً لو كان الذهاب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام يؤدّي إلى ورم القدمين أو مرض قد يطول شهراً مثلاً، فهل يجوز في مثل هذه الحالة أم لا؟

الخوئي: ما لم يكن الضرر المؤدّي إليه ممّا يحتمل أن يؤدّي إلى هلاك النفس فلا بأس بالعمل به.

التبريزي: ما لم يكن الضرر الهلاك أو الضرر المحسوب من الجناية على النفس، فلا بأس به، والله العالم»[٣٢].

الإشكال الثاني: استلزامه إيذاء النفس وهو قبيح عقلاً

إنّ المشي لزيارة الحسين عليه السلام يُعدّ لدى العُرف إيذاءً للنفس وإتعاباً لها، والعقل يحكم بقبح إيذاء النفس؛ إذن فيُعدّ هذا العمل قبيحاً في نظر العقل، فلا يجوز؛ للتطابق بين حكم العقل وحكم الشرع.

الجواب:

إنّ حكم العقل بقبح إيذاء النفس مسلَّم في الأعمال التي تؤذي النفس ولا يترتّب عليها غرض معتد به، كجرح عضوٍ من أعضاء الجسد من دون غرضٍ، وأمّا الأعمال التي يكون فيها إيذاء للنفس لأجل تحقيق غرض مهم، فلا يحكم العقل بقبحها، والعقلاء يتحمّلون المشاق والمتاعب لأجل الحصول على أغراضهم، وزيارة

الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام وإن كان فيها شيءٌ من التعب، إلّا أنّه يترتّب عليها خير الدنيا والآخرة، فهو تعب قليل في قبال نفع وأجر عظيم.

الإشكال الثالث: الاختلاط بين الجنسين

ومن جملة الإشكالات التي تذرّع بها بعضهم أنّ الشعائر الحسينيّة بشكل عام، والمشي لزيارة الحسين عليه السلام بشكل خاص يستلزم الاختلاط بين الجنسين، وهذا الاختلاط محرّم، والزيارة مشياً مستحبّة، فإذا ترتّب عليها مفاسد كالاختلاط بين الجنسين، كان ترك المشي للزيارة أولى، والركوب أفضل.

الجواب:

الوجه الأول: إنّ هذا الاختلاط المذكور ليس محرماً؛ فليس هناك من الفقهاء مَن أفتى بحرمة الاختلاط بين الجنسين بهذا المعنى المشار إليه؛ لأنّ الاختلاط تارة ينشأ عن الازدحام، كالحجّ وصلاة الجمعة وصلاة العيدين والمشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، أو الازدحام داخل الحرم الشريف، فهذا النوع من الاختلاط ليس محرّماً في نفسه، بل أفتى الفقهاء بكراهته بشكل عام.

وأُخرى يكون الاختلاط بمعنى المعاشرة والخلطة من النساء للرجال، وهو ما يحصل عادة في المدارس والدوائر الحكومية والمستشفيات وغيرها؛ بحيث يكون الاختلاط كثيراً ومستمرّاً، فهذا النوع من الاختلاط قد أفتى السيد الخوئي بحرمته[٣٣].

وعلى أية حال، فالمفروض أنّ المشي لزيارة الحسين عليه السلام إن كان فيه اختلاط فهو اختلاط من القسم الأول دون الثاني[٣٤].

الوجه الثاني: لو سلّمنا ـ ونحن لا نسلِّم ذلك ـ أنّ الاختلاط بالمعنى الثاني، أي: المعاشرة، فيحصل أحياناً من بعض ذوي النفوس الضعيفة في المشي لزيارة الحسين عليه السلام، إلّا أنّ ذلك لا يلزم منه تعطيل هذه الشعيرة، ولو كان ذلك صحيحاً للزم تعطيل أكثر

العبادات الواجبة التي يكون فيها نوع من الاختلاط أحياناً كالحجّ، وصلاة الجمعة، وصلاة العيد، وصلاة الميت وغير ذلك؛ ولذا ورد عن زُرارة، قال: «حضر أبو جعفرٍ عليه السلام جنازة رجلٍ من قريشٍ وأنا معه وكان فيها عطاءٌ، فصرخت صارخةٌ، فقال عطاءٌ: لتسكتنّ أو لنرجعنّ. قال: فلم تسكت؛ فرجع عطاءٌ. قال: فقلت لأبي جعفرٍ: إنّ عطاءً قد رجع. قال ولم؟ قلت: صرخت هذه الصّارخة. فقال لها: لتسكتنّ أو لنرجعنّ. فلم تسكت؛ فرجع. فقال: امض فلو أنّا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحقّ تركنا له الحقّ لم نقض حقّ مسلمٍ. قال: فلمّا صلّى على الجنازة قال وليّها لأبي جعفرٍ عليه السلام ارجع مأجوراً رحمك الله؛ فإنّك لا تقوى على المشي. فأبى أن يرجع»[٣٥].

الإشكال الرابع: صرف الأموال الكثيرة مع حاجة الفقراء إليها

من الأُمور الواضحة أنّ الزائر الذي يأتي ماشياً لزيارة الحسين عليه السلام، ويقطع هذه المسافات يحتاج إلى كثير من الخدمات، فهو بحاجة إلى الطعام والشراب، والاستراحة في أثناء الطريق، والمعالجة أحياناً لما يصيبه من التورّمات في الأقدام التي تحصل إثر قطع المسافات الطويلة. ومن هذا المنطلق؛ يقوم المؤمنون الموالون باستقبال الزوّار، وقضاء حاجاتهم، فينصبون السرادق على الطريق لذلك، وتذكر الإحصائيات أنّ المواكب التي نُصبت في العام الماضي تقرب من ستّة آلاف موكب، وإذا أضفنا إلى ذلك أنّ كلّ موكب يصرف من الأموال ما يقرب من ٨ مليون خلال فترة زيارة الأربعين؛ فيخرج الناتج ٤٨ مليار ديناراً كقدر متيقَّن إن لم يكن أكثر. وهذا الرقم من الأموال يُصرف، وفي الناس مَن يحتاج إلى رغيف الخبز، وكم من المرضى الذين يحتاجون إلى الدواء، ولكنّهم لا يملكون أموال علاجهم، أفليس صرف هذه المبالغ في هذه الموارد أوجب، مع ملاحظة تمكّن الزوّار المشاة عادة من أن يتكفّلوا متاعهم بأنفسهم، مع أنّ ذلك يكون مانعاً عن الإسراف والتبذير.

الجواب:

إنّ الإنفاق في الشريعة الإسلامية تارة يكون واجباً وأخرى مستحبّاً، أمّا الإنفاق الواجب فهو يتمثّل بـ: الإنفاق على واجبيّ النفقة، وفي الزكاة، والخمس، والكفارات، والإنفاق الواجب بالنذر. وأمّا الإنفاق المستحبّ: فهو يتمثّل بالصدقة والإنفاق في سبيل الله والتبرعات والأوقاف.

وقد جعلت الشريعة الإسلامية الزكاة وخمس السادة والكفارات من جملة الموارد المالية التي تُسدّ بها حاجة الفقراء والأيتام؛ فيجب تشكيل المؤسسات التي تُعنى بذلك، والدولة تتحمّل قسطاً من المسؤولية لرفع حالة الفقر، فيجب أن تخصص الدولة مؤسسات إغاثة للمحتاجين والمعوزين من خلال تلك الموارد المالية، وهذه الموارد المالية لا يجوز صرفها إلى غير المستحقّ، كما لا يجوز صرفها إلى الشعائر الحسينيّة.

وأمّا بالنسبة إلى النذر الواجب والإنفاق المستحبّ بجميع ألوانه فهو يرجع إلى قصد الناذر أو المنفق، فإن كان الناذر قد نذر ذلك للشعائر الحسينيّة فلا يجوز أن يصرفها في غيرها، فيجب العمل على طبق النذر، وأمّا الإنفاق المستحبّ فالمنفق مخيّر في ذلك يستطيع أن ينفق في ما يشاء من وجوه البرّ.

ومن المعلوم أنّ الأموال التي تصرف للشعائر الحسينيّة كلّها من قبيل النذور التي نُذرت للشعائر الحسينيّة، أو من قبيل الإنفاق المستحبّ الذي يدخل فيه الصدقة والتبرّعات والأوقاف، فأمّا بالنسبة إلى الأموال التي نذرت للشعائر الحسينيّة فلا يجوز أن يصرفها في غيرها، فلا يسقط عنه النذر بذلك، وأمّا بالنسبة إلى الإنفاق فهو مخيّر في ذلك، ولا يجوز لنا إجباره على الإنفاق في جهة معينة، فله أن يصرف أمواله في الشعائر الحسينيّة، كنصب المواكب لضيافة زوار الحسين عليه السلام، وتقديم الخدمات لهم وإطعامهم الطعام وسقيهم الماء، فكلّ ذلك جائز له، بل هو من أعظم المستحبّات ويترتّب عليه الثواب العظيم.

وملخّص الكلام: أنّ كلّ جهة من الجهات قد خصّصت الشريعةُ لها مورداً

من الموارد المالية، فالفقراء غير السادة قد خُصّصتْ لهم الزكاة والكفارات، والفقراء من السادة قد خُصّص لهم سهم من الخمس. وأمّا ما يرتبط ببقية الأمور الدينية، كالشعائر الحسينيّة وخدمة زوّار الحسين عليه السلام ووجوه البرّ، فهو يكون من الإنفاق في سبيل الله والنذور المتعلقة بها والتبرّعات والأوقاف، ولا ينبغي خلط أحدهما بالآخر.

الإشكال الخامس: إضاعة الوقت وقطع الطرق على الآخرين

إنّ مجيء تلك الحشود والجموع وخروجهم في الطرق والشوارع مشياً على الأقدام إلى زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين يسبب أمرين:

١ــ إضاعة الوقت على الزوّار أنفسهم، فبدلاً من أن تستغرق زيارتهم عشرة أيام يمكن أن يختصر أحدهم ذلك ويزور في يوم واحد أو يومين، ثمَّ يرجع إلى عمله ويستغلّ ما تبقّى من وقته في عبادات أُخرى، كالكدِّ على العيال، وقضاء حوائج الناس وما أشبه.

٢ــ إعاقة الآخرين عن مواصلة أعمالهم من خلال شلِّ حركة السير في الطرق الخارجية؛ إذ إنّ الزوّار يمشون ويملؤون الشوارع؛ ممّا يسبب توقّف السير في الشوارع، أو شلِّ الحركة وقطع الطرق على الآخرين، وهذا ليس أمراً مطلوباً في الشريعة.

الجواب:

قد طرح المستشكل محذورين، والجواب عنهما كما يأتي:

الجواب عن المحذور الأول

أولاً: إنّ إضاعة الوقت تارة تكون من قبيل إضاعة الوقت في شيءٍ لا فائدة فيه، وليس فيه غرض معتدّ به، كاللعب واللهو وما شابه ذلك، فهذا النوع من إضاعة الوقت تذمّه الشريعة الإسلامية.

وأُخرى من قبيل صرف الوقت لأجل أغراض معتدٍّ بها، كالعمل والكدِّ على العيال وقضاء حوائج الآخرين، ومواصلة أعمال اليوم، وأداء العبادات

وتعظيم الشعائر، وهذا النوع من صرف الوقت ممدوح ومرغوب؛ ولذا حثت الشريعة على أداء الواجبات، فلا يُسمّى صرف الوقت في ذلك إضاعة للوقت؛ لأنّه في الواقع لم يضيّع وقته، بل حصل على أمر أكبر من الوقت الذي أتلفه، وهذا أحد معاني الآية الكريمة: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٣٦]، أي: إنّ الإنسان قد خسر عمره وأيامه لا محالة، ولكنّه إذا جعل تلك الأيام في طاعة الله تعالى، وعمل الصالحات فلم يخسر عمره، بل ربح شيئاً أكبر.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام وصرف الوقت فيها من قبيل صرف الوقت في طاعة الله تعالى، وتعظيم شعائره، ونصرة نبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وقضاء الوقت في ذلك مرغوب لدى الشريعة، بل هو من أفضل العبادات.

وثانياً: ورد في بعض الروايات أنّ زائر الحسين عليه السلام لا تحسب أيامه التي صرفها في زيارة الحسين ذاهباً وجائياً من عمره[٣٧]، فمَن ينشغل بعبادات أُخرى، فهو يحصل على الثواب، ولكن يحسب ذلك الوقت من عمره، وأمّا مَن ينشغل بزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً ذاهباً وجائياً فيحصل على الثواب من دون أن يحسب ذلك الوقت من عمره، وحينئذٍ لا تصدق إضاعة الوقت.

الجواب عن المحذور الثاني

أولاً: يمكن الجمع بين زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً والحفاظ على حركة السير، بأن يجعل أحد الشوارع للزوّار والآخر للسير، أو يجعل الليل لحركة السيارات والنهار لحركة المشاة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهذا من وظائف القائمين على أنظمة المرور العامّة؛ وحينئذٍ نحصل على كلا الأمرين وتكون زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام متيسّرة، وحركة السيارات أيضاً تكون ممكنة، وبذلك يتمّ المحافظة على النظم العام.

ثانياً: من المبادئ الواجبة والأساسية في الشريعة الإسلامية هي الدفاع عن المظلوم والاقتصاص من الظالم، فكلّ إنسان مظلوم يجب على

الأُمّة الإسلامية الدفاع عنه ومعاقبة مَن ظلمه طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣٨]، وهذا الأصل مسلّم عند جميع الفرق الإسلامية، بل العالم بأسره؛ ولذا شكّلت أوروبا منظمة للدفاع عن حقوق الإنسان، فإذا لم يتمكّن الناس من الاقتصاص من الظالم للمظلوم، فلا أقل من إظهار تلك المظلومية للعالم ودعوته للدفاع عن المظلومين الذين قُتلوا وظُلموا من دون أي ذنب.

والمشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام أحد المصاديق البارزة لمطالبة العالم الإنساني بالدفاع عن حقوق المظلومين الذين انتُهكت حقوقهم وأُريقت دماؤهم وسُلبت أموالهم من دون أي ذنب، وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام الغريب المظلوم، الذي خرج هو أيضاً للدفاع عن المظلومين الذين سلبت حقوقهم من قِبل الطغاة والجبابرة في كلّ زمان ومكان، ومن بعده الإمام زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام؛ حيث قاما من بعد الإمام الحسين عليه السلام بهذه المهمّة خير قيام، وأبرزا مظلومية الحسين عليه السلام إلى العالم.

إذن، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً هو أجلى وأتمّ مصداقٍ من مصاديق نصرة المظلوم والاصطفاف معه ضد الظلم والظالمين، وهي نصرةٌ لشخصية مثّلت أساس العدل ومعدن الإباء، بل هي مظهر من مظاهر إحياء الدين، وكفى بذلك أهميةً، فتُقدّم حينئذٍ على ما سواها من المصالح الشخصية أو العامّة الأقل منها أهمية قطعاً.

أي إن هذا المورد من قبيل التعارض بين المصالح العامّة، والمصالح الشخصية، وكلّما تعارضت المصلحة العامّة مع المصلحة الشخصية، قُدِّمت الأولى على الثانية.

فالمشي لزيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين أصبح اليوم ذا مصلحة عامّة، وتلك المصلحة العامّة هي عبارة عن الصرخة في وجوه الظالمين، ورفع راية الإسلام، كما أنّ في المشي جنبة

تبليغية عظيمة؛ حيث إنّ كلّ مَن يرى هذا الحدث وتلك الجموع الغفيرة التي تسير نحو الحسين عليه السلام يُثار لديه تساؤل: مَن هو الحسين الذي جعل جميع هذه القلوب تهوي إليه؟ ممّا يكون باعثاً على البحث والتحقيق، وكلُّ هذه الأُمور فيها مصلحة عامّة وهي مقدَّمة بلا ريب على المصالح الشخصية، كعرقلة المسير.

الجهة الثالثة: بعض آداب الزيارة وثواب الزائر خلال مسيره إلى زيارة الحسين عليه السلام

أوّلاً: الآداب التي ينبغي للزائر أن يتحلّى بها

هناك جملة من الآداب التي ينبغي لزائر الحسين عليه السلام مشياً التحلّي بها، وهي مستفادة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام:

١ــ أن يكون زائر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّ الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ الثواب الجزيل إنّما يترتّب على كون الزائر عارفاً بحقّ الإمام عليه السلام، ولعل التفاوت في الأجر الذي تقدَّم في الروايات يرجع إلى التفاوت في المعرفة، فبعض الزائرين يُعطى بكلّ خطوة حسنة في حين يُعطى الآخر بكلّ خطوة ألف حسنة، ويحصل الآخر بمقدار معرفته على ثواب حجّة متقبَّلة بكلّ خطوة، في حين يحصل العارف بحقّه بكلّ خطوة على عتق رقبة. فالمناسب للزائر أنّ يشتغل طول الطريق بالتعرُّف على شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأخلاقه، ويحاول تطبيقها والعمل بها ليحصل على الثواب الجزيل.

٢ــ أن يغتسل ويلبس ثياباً نظيفة وطاهرة، ويحافظ على السكينة والوقار، فلا يتصرَّف تصرُّفاً ينافي ذلك، وينبغي مراعاة النظافة بشكل عام طوال الطريق ويتجنَّب رمي النفايات على الأرض، بل ينبغي له رميها في المكان المخصص لها؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣٩]، كما أنّ

من المبادئ الأساسية في الإسلام هي النظافة؛ فينبغي لزائر الحسين عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام خلال مسيره أن يعمل بهذه المسائل، فإنّه سيُعطي بذلك درساً للآخرين.

٣ـ أن يتجنَّب خلال طريقه إلى الحسين عليه السلام كلَّ ما يسيء إلى سمعة وكرامة وعزّة المذهب؛ فإنّ التصرُّفات السلبية لزائر الحسين عليه السلام ستنعكس على سمعة المذهب وكرامته، فعلى الزائر أن يبتعد عمّا يسيء للمذهب، كالتهاون بالصلاة وعدم رعاية الحجاب، كما أنّ عليه أن يحفظ قلبه وسمعه ولسانه وبصره عن الحرام؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٤٠]. وقد جاء في صحيحة هشام بن الحكم، قوله: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم أن تعملوا عملاً يعيِّرونا ـ أي المخالفون ـ به، فإنّ ولد السوء يُعيَّر والده بعمله، وكونوا لمَن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا علينا شيناً... ولا يسبقوكم ـ يعني المخالفين ـ إلى شيء من الخير، فأنتم أوْلى به منهم»[٤١].

٤ـ ينبغي لزائر الحسين عليه السلام حال مشيه أن يعمل أفعال الخير، فيرحم الكبير، ويعطف على الصغير، ويساعد المحتاج، ويغيث الملهوف، ويتخلّق بالأخلاق الحسنة، وأن يتكلَّم مع الناس بما هو خير طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٤٢]، بحيث يكون متمسِّكاً بأخلاق أهل البيت عليهم السلام وداعية لهم؛ فإنّ التصرُّفات الإيجابية ستنعكس على سمعة المذهب وكرامته؛ ولذا ورد عن سليمان بن مهران، قال: «دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعنده نفر من الشيعة، فسمعته وهو يقول: معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول»[٤٣].

٥ـ عدم الأكل أثناء المشي، بل المناسب أن يجلس ويستريح قليلاً، ثمَّ يأكل، إلّا إذا اضطرّ إلى ذلك، وعدم السرعة في المشي؛ فإنّه من

المستحبّات أن يمشي بسكينة ووقار، وسرعة المشي تذهب بالسكينة والوقار وتطفئ نور المؤمن، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا تأكل وأنت تمشي إلّا أن تضطرّ إلى ذلك»[٤٤]. وقد ورد عن أبي الحسن عليه السلام: «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»[٤٥]، وقال عليه السلام: «المشي المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويطفئ نوره»[٤٦].

٦ـ أن يتحلّى بآداب المشي، فعليه أن يكون قاصداً في مشيه إلى زيارة الحسين والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ويمشي على الأرض هوناً، وبتذلل وخضوع وعلى سكينة ووقار؛ كي يكون ممَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم. حيث تشير إلى ذلك الآيات الكريمة، كقوله تعالى:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[٤٧]، و ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٤٨]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٤٩] و ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥٠].

ثانياً: الثواب الذي يحصل عليه زائر الحسين عليه السلام خلال مشيه لزيارته

اعلم أن الثواب الذي يترتّب على زيارة الحسين عليه السلام كثير جدّاً، ولكن نحن نقتصر هنا على المهمّ منه، وسنبدأ بالثواب على حسب الطريق، ابتداء من خروج الزائر من المنزل وحتى وصوله إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام وانتهاء برجوعه إلى منزله؛ فإنّ الله تعالى قد وزّع الثواب على الزائر ابتداءً من الخروج من المنزل إلى حين رجوعه إلى المنزل.

١ــ تتباشر أهل السماء به عند ترتيب متاع السفر

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتباشر به أهل السماء»[٥١].

٢ــ تُصلّي الملائكة عليه عند الخروج من المنزل وتُشيّعه وتصحبه

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الرجل إذا خرج من باب منزله وكّل الله

بـه أربعـة آلاف ملـك مـن الملائكـة يصـلّون عليـه حتـى يـوافي قبـر الحسين عليه السلام»[٥٢].

وقـال عليه السلام: «إنّ الرجـل إذا خـرج من منزله يريد زيارة قبـر الحسـين عليه السلام شيَّعه سبعمائة ملك من فوق رأسه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ومن بـين يديـه ومـن خلفـه حتـى يبلغونـه مأمنه»[٥٣]، و «صحبه ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن يساره»[٥٤].

٣ـ عنـدما يمشـي تُكتـب لـه بكـلّ خطوة حسنة

«عن الحسين بن عليّ بن ثوير بن أبـي فاختـة، قـال: «قـال لـي أبـو عبـد الله عليه السلام يا حسين، من خرج من منزله يريد زيـارة الحسـين بـن علـيّ بـن أبـي طالبٍ عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكـلّ خطـوةٍ حسـنةً، وحـطّ بهـا عنـه سيّئةً»[٥٥].

٤ـ إذا مشـى فـي الشـمس أكلـت ذنوبه كما تأكل النّار الحطب

قـال الإمـام الصـادق عليه السلام: «وإنّ زائـر الحسـين عليه السلام إذا وقعـت الشـمس عليـه أكلـت ذنوبـه كمـا تأكـل النـار الحطب، وما تبقـي الشـمس عليـه مـن ذنوبه شيئاً؛ فينصرف وما عليه قتلـه أنّ الإمامة مـن ذرّيّتـه والشّـفاء فـي تربتـه وإجابـة الـدّعاء عنـد قبـره ولا تعـدّ أيّـام زائريه جائياً و راجعاً من عمره»[٥٦].

الهوامش

[١] أُنظر: المجلسـي، محمـد بـاقر، بحـار الأنـوار: ج٩٨، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

[٢] المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٥٣.

[٣] المجلسي، محمـد بـاقر، بحـار الأنـوار: ج٩٨، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

[٤] أُنظر: المصدر السابق.

[٥] أُنظر: الحـرّ العـاملي، وسـائل الشـيعة: ج٥، ص٢٠١.

[٦] أُنظر: المصدر السابق: ج٧، ص٤٥٥.

[٧] أُنظر: المصدر السابق، ج٣، ص١٥٢.

[٨] أُنظر: المصدر السابق: ج١١، ص٧٩.

[٩] المصدر السابق: ج١٤، ص٥٩.

[١٠] الصدوق، محمد بن علي، ثـواب الأعمـال: ص٢٩٣.

[١١] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشـيعة: ج١٤، ص٤٣٩.

[١٢] المصدر السابق: ج١٤، ص٤٤٠.

[١٣] المصدر السابق: ج١٤، ص٤٤٠.

[١٤] المصدر السابق: ج١٤، ص٤٤١.

[١٥] ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٦.

[١٦] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٤١.

[١٧] ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٧.

[١٨] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٨٥.

[١٩] المصدر السابق: ج١٤، ص٣٨٠.

[٢٠] الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٩٨. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٣٢.

[٢١] التبريزي، الميرزا جواد، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ص١٣٠.

[٢٢] الحائري، كاظم، الفتاوى المنتخبة: ص١٢٧.

[٢٣] لاحظ: السرخسيّ، المبسوط: ج١، ص٢٥. الكاشاني، أبو بكر، بدائع الصنائع: ج١، ص٢٩٤. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص٤٤٠.

[٢٤] أُنظر: الشهيد الثاني، الفوائد الملية لشرح الرسالة النفلية: ص١٥.

[٢٥] أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٩، ص٢٢٩.

[٢٦] الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ج٢، ص ٤٠٨.

[٢٧] طه: آية١٢.

[٢٨] الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام: ج٥، ص٤٦٥.

[٢٩] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩٠.

[٣٠] آل عمران: آية٥٩.

[٣١] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٣٠.

[٣٢] الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج٢، ص ٤١٨.

[٣٣] أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، منية السائل: ص٢١٩.

[٣٤] أُنظر: مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام: ج٥١، ص ٢٩٧ وما بعدها.

[٣٥] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص١٤٠.

[٣٦] العصر: آية١ـ ٣.

[٣٧] الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٢٣.

[٣٨] البقرة: آية١٧٩.

[٣٩] البقرة: آية٢٢٢.

[٤٠] الإسراء: آية٣٦.

[٤١] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢١٩.

[٤٢] البقرة: آية٨٣.

[٤٣] الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٤٨٤.

[٤٤] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٤، ص٢٦١.

[٤٥] المصدر السابق: ج١١، ص٤٥٦.

[٤٦] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٥٥.

[٤٧] لقمان: آية١٩.

[٤٨] لقمان: آية١٨.

[٤٩] الفرقان: آية٦٣.

[٥٠] الملك: آية٢٢.

[٥١] ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٧٥.

[٥٢] المصدر السابق.

[٥٣] المصدر السابق: ص٣٥١.

[٥٤] الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص٧١٦.

[٥٥] العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة؛ ج١٤، ص ٤٣٩.

[٥٦] المصدر السابق: ج١٤، ص٤٢٣.

سِيَاسَةُ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام فِي مُوَاجَهَةِ الإِرْهَابِ الحُكُومِيّ

❖ الشيخ قيصر التميمي [1]

(١) باحث وكاتب اسلامي /حوزة النجف الاشرف.

كـان ولا يـزال العنـف المجتمعـي يتصدّر قائمة التحدّيات الصعبة، ويمثّل التحدّي الأشهَر والأبرز على الإطـلاق، ولا زال يقــف حــائلاً أمــام الجهــود الإنســانية المتواصــلة التــي تُبــذل باستمرار لإرساء معالم التعايش السلمي بين بني البشـر فـي قريـة أرضـيّة آمنـة موحّـدة؛ ولأن العنـف طبـع غرائـزي متجـذّر فـي تكـوين الإنسـان وتركيبتـه السيكولوجية المعقّدة[1] ـ ولأنـه فتّـاك، سريع الاشتعال، شديد الانفجار، عاليـة ألسـنة لهبـه ونيرانـه، تحـرق الأخضـر واليابس ـ كان وسيبقى العـبء الأكبـر والهمّ الأثقل الذي يشغل تفكير الهـداة والمصــــلحين بمختلــــف ألــــوانهم وتوجّهـاتهم، وفـي شـتّى بقـاع الأرض وأصـقاعها، مـع أنّهـم لا يطمعـون أبـداً بالقضاء عليه بقدر ما يسـعون جاهـدين للحـدّ مـن انتشـاره وتفشّـي مظـاهره بشكل مُفرط في الأوساط الموبوءة بداء العنف.

وهناك من العنـف المضـادّ مـا هـو مبرّر ومقبول لدى العقـلاء مـن البشـر، فالإنسان بحاجة إلى شيء مـن غريـزة الحزم والغلظة والعنـف يـدافع بهـا عـن الــنفس والعــرض والــوطن والثــروة والحيـاة، ويقـف ببطولـة وبسـالة أمـام أطمـاع الغـزاة والمعتـدين، وتوسّـعهم الهمجي علـى حسـاب الآخـرين. لكـن هناك أيضاً من العنف مـا هـو مرفـوض وغير مبرّر ولا مقبول، تستنكره الفطـرة الإنسانيّة السليمة، وله درجات وأشكال متنوّعة ومتفاوتة، قد تبدأ بكلمة جارحة، وتنتهـي أو لا تنتهـي بحـروب عالميـة طاحنة.

وقـد أُطلـق فـي العقـود الأخيـرة

مصطلح الإرهاب (**terror'sm**) على بعض أشكال العنف وأنواعه غير المبرّرة، وليس هدفنا في هذا المقال دراسة كلّ ما يُسمّى إرهاباً في عصرنا الحاضر، فهذا ما لا يسعه مقال أو كتاب، وهو همُّ الإنسانيّة الأكبر الذي ملأ بطون الكتب وشغل بالَ الباحثين والمفكرين، لابثين في فهمه ودراسته أحقاباً طويلة من الزمن الماضي والحاضر، فأضحى الإرهاب شبح العصر المرعب، وعُقدت لمعرفة هيولاه المؤتمرات والقمم العالميّة، وكُتبت البحوث والقوانين والمعاهدات الأُمميّة والدوليّة؛ لقوننة هذا الطراز الخاصّ من العنف ووضعه في أُطره وسياقاته الواضحة؛ ما أنتج تراثاً ضخماً متضارباً متلاطم الأمواج مفقود السواحل، لا يمكن أن يُحصر بكلمات مختصرة في محدودة هذا البحث الموجز.

ومن هذا المنطلق؛ سندرس صنفاً خاصّاً من أصناف العنف الإرهابي في ضوء كلمات الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، وهو ما يُسمّى بـ (الإرهاب الحكومي) أو (الإرهاب السياسي) أو (إرهاب الدولة)، ولعلّ هذا الصنف من الإرهاب هو أبرز ما واجهه الإمام الحسين عليه السلام في حركته وثورته الإصلاحيّة. وقد أحطنا أقطار حديثنا في هذا الموضوع بأسوار العناوين التالية:

الإرهاب في اللغة والاصطلاح

الأصل اللغوي في مادة الإرهاب: (رهب)، وقد نصّ جملة من اللغويين على أنّ معناه لغةً: الخوف والفزع. ويكون معنى الإرهاب المشتقّ من ذلك الأصل: هو إخافة الناس وإفزاعهم. قال ابن منظور في لسانه: «رَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبةً ورُهْباً، بالضم، ورَهَباً، بالتحريك، أَي: خافَ. ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً: خافَه... وأَرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه: أَخافَه وفَزَّعه. واسْتَرْهَبَه: اسْتَدْعَى رَهْبَتَه حتى رَهِبَه الناسُ؛ وبذلك فُسّر قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾؛ أَي: أَرْهَبُوهم»[٢]. وقال الزبيدي في تاجه: «والإِرْهَابُ بالكَسْرِ:

الإزعاجُ والإِخَافَةُ»[٣].

ويؤكّد الزمخشري على الجانب القلبي والنفسي في مفردة الإرهاب، ويجعله هو الأساس في مضمون هذه المفردة ومؤدّاها، وليست الإخافة في مؤدّى الإرهاب إلا سبباً لحصول تلك الحالة النفسيّة، وهي حالة القشعريرة والاضطراب والانزعاج والفزع والرعب النفسي الحاصل بالتخويف، ويتضمّن أيضاً عنصر المفاجأة، إذ يقول: «رهَبْتُه، وفي قلبي منه رهبة، ورَهَب ورهبوت، وهو رجل مرهوب، عدوّه منه مرعوب... وأرهبته ورهّبته واسترهبته: أزعجت نفسه بالإخافة. وتقول: يقشعرّ الإهاب. إذا وقع منه الإرهاب»[٤]؛ فيكون تعريف الإرهاب بالإخافة والتخويف من تعريف الشيء بالعلّة والسبب. ولعلّ هذا هو مراد الراغب الأصفهاني أيضاً حينما قال: «الرَّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرّز واضطراب»[٥]. وفي ضوء هذه الرؤية يكون الإرهاب أقرب إلى مفردة الفزع من مفردة الخوف؛ لأنّ الخوف هو مجرّد: «توقّع الضرر المشكوك في وقوعه»[٦]، وأمّا الفزع فهو: «مفاجأة الخوف عند هجوم أمر، وهو انزعاج القلب بتوقّع مكروه عاجل»[٧].

ثم إن صاحب كتاب الفروق اللغوية أضاف عنصراً آخر لمؤدّى الإرهاب، وهو عنصر الاستمراريّة والدوام، إذ يقول: «الرهبة طول الخوف واستمراره؛ ومن ثَمَّ قيل للراهب: راهب؛ لأنه يُديم الخوف، والخوف أصله من قولهم: جمل رهب إذا كان طويل العظام مشبوح الخَلق والرهابة»[٨]. ونسجاً على هذا الرأي اختار بعض المحقّقين «أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الخوف المستمرّ المستديم»[٩]. ولكن اتضح أن الخوف والإخافة بمنزلة السبب لمؤدّى الإرهاب، ومؤدّاه المطابقي والحقيقي هو: حالة من الفزع والانزعاج والرعب النفسي المفاجئ، ولا تخلو هذه الحالة بحسب العادة من عنصر الاستمراريّة والدوام، ولعلّه من هذه الزاوية أضاف العسكري هذا العنصر في فروقه.

والحاصل في تعريف الرّهَب والإرهاب لغة: هو حالة من الانزعاج

والفـزع والرُّعـب القلبـي والنفسـي المفاجئ، الناتج عن الإزعاج والإخافة الصادرة عن الغير، وهي لا تخلو عادة من عنصر الاستمراريّة والدوام.

وبهذا المعنى اللغوي استُعملت مادّة الإرهاب في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[١٠]، وفيه مطالبة بالخشية والفَرَق والفزع النفسي من انتقام الله تعالى ونزول عقابه وغضبه. وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١١]. وأيضاً قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ﴾[١٢]، أي: تُدخلون حالة من الفزع والرعب في نفوس وقلوب أعداء الله وأعداء المؤمنين. وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[١٣]، فالسَّحَرة أدخلوا الرعب والفزع في قلوب الناس بعجائب وغرائب سحرهم.

وأيضاً «في حديث (الدعاء رغبة ورهبة إليك) الرهبة: الخوف والفزع... وفي حديث بهز بن حكيم: (إني لأسمع الراهبة). هي الحالة التي تُرهِب، أي: تُفزع وتُخوّف»[١٤].

وفي مناجاة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام مع الله تعالى يقول: «وتلطّفت في الترغيب، وبالغت في الترهيب»[١٥]، أي: أدخلت الفزع في قلوب الناس، عن طريق التهديد والوعيد بالنار والعذاب وسوء المصير، وهو ذات المعنى اللغوي الذي قرّرناه. وبالمعنى ذاته ما جاء في الحديث أيضاً: «قد أرهب عمر بن الخطاب امرأة، فأُخمصت بطنها، فألقت جنيناً ميتاً، فشاور علياً عليه السلام، وحمل ديّة جنينها»[١٦].

فتحصّل: أن النصّ الديني كما استعمل مادّة الإرهاب في معناه اللغوي بمعطيات ومواصفات وتطبيقات إيجابية ومطلوبة دينيّاً، كذلك استعمله في المعنى اللغوي بمعطيات ومواصفات وتطبيقات سلبية ومرفوضة في المقاييس الدينيّة، كما هو الحال في الإرهاب الذي مارسه السّحَرة لإدخال الرعب والفزع والخوف في قلوب الناس، وكذا الإرهاب الذي مارسه عمر

بن الخطاب بحقّ المرأة الحامل التي فقدت بسببه جنينها.

وأمّا الإرهاب في معناه الاصطلاحي: فقد اختلفت وتضاربت فيه الأقوال والتعريفات بشكل واسع ومُفرط؛ ما أدّى ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بعدم إمكانية ضبط وتأطير لفظ الإرهاب في مفهوم ومعنى محدّد وواضح. وبنحو الإجمال والإيجاز نقول:

١ــ استعمل طائفة من الفقهاء الإسلاميين لفظ (الإرهاب) في العنف القولي، من قبيل لعن وتوبيخ العُصاة والمذنبين من المسلمين؛ ليجتنبوا مواقعة الذنب والمعصية[١٧]، وكذلك تعنيف القاضي لبعض المتخاصمين في القضاء، إذا ظهرت له أمارات كذبه واحتياله[١٨]. كما استعملوه أيضاً في العنف الفعلي، ومن أمثلته: ممارسة أفعال الرعب والعنف والقوّة لإخافة وإرعاب الخصم والعدوّ، من قبيل حشد الخيول وضرب الطبول ونشر السلاح والرماح في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله[١٩]؛ تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ﴾[٢٠]. يقول الشوكاني مستنداً إلى هذه الآية المباركة: «الإرهاب للعدو إنما يكون بالعدد والمدد، والعُدّة والشدّة، والسلاح المعدّ للكفاح»[٢١].

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه المعاني والتطبيقات كلّها إيجابية ومرغوب فيها بنظر الفقهاء، وبحسب مقاييسهم الاستنباطيّة في الفقه الإسلاميّ، ولا تحمل في مؤدّاها أيّ صفة سلبيّة من الصفات التي نحملها في أذهاننا عن مفهوم الإرهاب في وقتنا الحاضر.

نعم، هناك بعض العناوين والمضامين الفقهيّة ذات المداليل السلبيّة أدرجها بعض الباحثين تحت عنوان الإرهاب، من قبيل: (البغي والخيانة والسرقة والحرابة) وغيرها، وهي ـ مع قطع النظر عن المناقشة في كونها إرهاباً أم لا ـ خارجة عن محلّ البحث. ولكن هناك أيضاً عناوين أُخرى سلبيّة المضمون والتأثير، قد تُحسب في عداد الأعمال الإرهابيّة، وهي مرتبطة بمحلّ البحث ـ ستأتي

الإشارة إليها لاحقاً ـ من قبيل: (الظلم والقتل، والذبح والإحراق، والطغيان والعدوان) وأمثالها، وهي قد تكون في الحقيقة من أهمّ أساليب ووسائل ومظاهر العنف والإرهاب.

٢ــ حاول جملة من الباحثين وفقهاء القانون المحدثين تعريف الإرهاب بالمثال، وتحديد معناه بذات الأفعال الإجراميّة، وتجريم الأنشطة التي لا تختلف الآراء في كونها أعمالاً إرهابيّة، سواء أسمينا ذلك تعريفاً مادّياً أم إحصاءً مصداقيّاً للعمل الإجرامي، فساقوا للتوضيح والبيان مجموعة من الأمثلة والممارسات التي ينطبق عليها عنوان الإرهاب، بل ذهب بعضهم إلى أن حقيقة الإرهاب ومحتواه لا تعدو ذلك النحو من التمثيل، فانصبّ جُلّ جهدهم على بيان وإحصاء واستقصاء كلّ الأمثلة الفعلية والمتصوّرة الحصول في المستقبل، وصاغوا من ذلك مادّة قانونية لمعرفة معنى الإرهاب وتحديد مضمونه ومحتواه، وقد أحصوا في هذا المجال: جرائم القتل، والاغتيال، والإبادة، والاختطاف، واحتجاز الرهائن، وأعمال القرصنة، والتخريب، والسطو المسلّح، والإخلال بالنظام العام وأمثالها.

ويبقى باب الأمثلة مفتوحاً أمام الحوادث المتجدّدة في عالمنا المتغيّر والمتطوّر. وليس هناك أيّ ضرورة لوضع تعريف محدّد ماهويّ للأعمال الإرهابيّة، بل إن وضع «تعريف للعمل الإرهابي قد يُضيّق من دائرة جهود مكافحته، ويحصر هذه الجهود في إطار التعريف المحدّد له؛ لتبقى دائماً ملزمة بالخضوع له»[٢٢]. مضافاً «إلى أن الإرهاب كمصطلح في حدّ ذاته غير قابل للتعريف؛ لأن أيَّ محاولة لتعريفه لن تكون قادرة على الإلمام بكافة صوره ومظاهره، وأيّ تعريف للإرهاب إمّا أن يكون عامّاً؛ وهو بذلك يحتاج إلى تفسيرات أُخرى، أو أنّه محدّد وحصريّ، فيكون بذلك جامداً غير قادر على مسايرة التطوّر المستمرّ في صور الإرهاب وأساليبه المتزايدة باستمرار تزايد التطوّر العلمي في شتّى المجالات»[٢٣]. ومن هذا المنطلق آمن جملة من الباحثين بمبدأ النسبية،

و «أن مفهوم الإرهاب هو مفهوم نسبي متطوّر، يختلف من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، ومن عقيدة أو فكر إلى آخر، وحسب الظروف المتغيّرة، رغم وجود بعض القواسم المشتركة؛ ولهذا من الصعب أن نقول بوجود مفهوم واحد للإرهاب أو للجريمة السياسية أو للعنف السياسي يمكن أن يقبل به الجميع، أو يمكن أن يُرضي الكلّ؛ ولهذا نعترف أن ليس هناك تعريف محدّد واضح أو دقيق للفكر الإرهابي»[٢٤].

٣ـ حاولت مجموعة أُخرى من الباحثين وذوي الاختصاص في المجال القانوني ضبط معنى الإرهاب في تعريف قانوني ماهويّ، واضح ومحدّد وشامل، يحظى بالمقبوليّة العامّة في المجتمع الدولي، بعيداً عن المهاترات والتوظيفات الفئويّة والسياسيّة؛ إيماناً منها بإمكانيّة ذلك، بل ضرورته، وهو ما أكّد عليه قرار الجمعية العامة للأُمم المتّحدة المرقّم ١٥٩/٤٢، الصادر بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩٨٧، الذي يعترف بأنّ «فعّالية محاربة الإرهاب يمكن تعزيزها من خلال وضع تعريف للإرهاب الدولي يحظى بإجماع عام»[٢٥].

وقد اختلفت الرؤى والأفكار إزاء هذه الحقيقة الغامضة والشائكة، وما زالت الآراء مختلفة حولها، وأنتج هذا الاختلاف الفكري تُراثاً بشريّاً غنيّاً، يكشف مدى قدرة الإنسان على الإنتاج في المجالات الفكريّة والعقديّة والإنسانيّة، وهو تُراث كبير وجدير بالدراسة والبحث والتنقيب، وهذا ما لا يسعه مقالنا الموجز؛ ولذا سوف نقتصر على إيراد أهم التعاريف بنظرنا، لنستخلص منها العناصر المرتبطة بمحلّ بحثنا، الذي نحاول تسليط الضوء فيه على ملامح حركة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الإرهاب الحكومي الأُموي:

التعريف الأول: ما جاء في مؤتمر مدينة (وارسو) في بولندا المنعقد عام ١٩٣٠ لتوحيد القانون الجزائي، حيث عُرّف الإرهاب بأنه: «الاستعمال العمدي لكل وسيلة قادرة على إحداث خطر جماعي، ويُعتبر الرعب عنصراً

أساسيّاً في تكوين هذه الجريمة»[٢٦].

لقد تضمّن هذا التعريف الأُممي أربعة عناصر أساسيّة في تحديد محتوى الإرهاب وبيان حقيقته، وهي:

١ــ استعمال وسيلة ذات خطورة إجراميّة.

٢ـ تعمّد استعمال تلك الوسيلة.

٣ــ أنْ يُشكّل استعمال تلك الوسيلة خطراً جماعيّاً.

٤ـ اعتبار الرعب عنصراً أساسيّاً في تكوين الجريمة الإرهابيّة.

ولم تُؤخذ الأسباب والغايات والأهداف في هذا التعريف عنصراً من عناصر تكوين مفهوم الإرهاب، وهو ما يتبنّاه ويختاره جملة من المختصّين والباحثين في هذا المجال، إذ يؤكّدون على ضرورة الفصل بين حقيقة الإرهاب ومعناه، وبين الدوافع والأهداف، وسيأتي التصريح بذلك في تعريف لاحق.

التعريف الثاني: ما جاء في اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب عام ١٩٣٧م، من أن الإرهاب هو: «الأفعال الجنائية الموجّهة ضدّ دولة مّا، ويكون غرضها أو نتيجتها إشاعة الرعب والذعر لدى شخصيّات أو جماعات معينة أو لدى عموم الجمهور»[٢٧].

واضح أنّ هذا التعريف يشترك في جملة من عناصره مع التعريف السابق، مع إضافة العناصر التالية:

١ــ أنْ تكون الأفعال الجنائيّة موجّهة ضدّ دولة معيّنة، وهذا ما يُضفي على مفهوم الإرهاب مذاقاً سياسيّاً، وهو مذهب طائفة كبيرة من فقهاء القانون.

٢ـ قد يكون (الغرض والهدف) من ممارسة تلك الأفعال الإجراميّة هو إثارة الرعب والهلع ذاته لدى الناس.

٣ـ إنّ مفهوم الإرهاب يطال أيضاً الأعمال الإجراميّة التي تُمارس بحقّ الشخصيّات ذات الحصانة والمكانة السياسيّة أو الاجتماعيّة، وقد أُضيف هذا العنصر في أعقاب أحداث اغتيال ملك يوغسلافيا ووزير الخارجيّة الفرنسيّة في فرنسا عام١٩٣٤م، وهروب الفاعلين إلى إيطاليا ورفض

الأخيرة تسليمهم؛ بذريعة الفصل بين الجرائم السياسيّة والجرائم الإرهابيّة.

التعريف الثالث: ما ورد في معاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي لمكافحة الإرهاب الدولي، من أن الإرهاب هو: «كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيّاً كان بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجراميّ فرديّ أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم، بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أعراضهم أو حريّتهم أو أمنهم أو حقوقهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامّة والخاصّة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو المرافق الدوليّة للخطر، أو تهديد الاستقرار أو السلامة الإقليمية أو الوحدة السياسية أو سيادة الدول المستقلّة»[٢٨].

أضاف هذا التعريف عناصر أُخرى مهمّة في تحديد مضمون مفردة الإرهاب، وهي:

١ـ إنّ من موارد الإرهاب أيضاً التهديد بممارسة العنف.

٢ـ أنْ يمثّل العنف أو التهديد به مشروعاً إجراميّاً مُنظّماً لفرد أو جماعة، وهو ما قد يُسمّى في بعض التعريفات بـ «الاستعمال المنظّم للعنف والجريمة».

٣ـ لا يهمّ التعرّف على نوع وطبيعة الدوافع والأغراض في تحديد معنى الإرهاب، سواء كانت سياسيّة أم لا، وهو أحد الآراء المهمّة والمطروحة بقوّة في أروقة التشريعات القانونيّة للإرهاب.

٤ـ أضاف هذا التعريف ـ علاوة على مسألة الرعب والترويع ـ عنصر إيذاء الناس والاعتداء على حقوقهم وحرّياتهم والإضرار بهم وبأملاكهم العامّة والخاصّة وتعريض الموارد الوطنيّة والمرافق الدوليّة للخطر، وكذلك تهديد الأمن والاستقرار والسلامة الإقليمية والوحدة السياسية وسيادة الدول المستقلّة؛ ما يُعطي صورة أوسع وأشمل لمعرفة طبيعة العمل الإرهابي، من دون تحديده بالزوايا والأبعاد السياسيّة.

التعريف الرابع: الإرهاب هو:

«عملُ عنفٍ غير قانوني»[٢٩].

أضاف هذا التعريف الموجز للإرهاب عنصر عدم الشرعية والقانونيّة في أعمال العنف، وأن العنف القانوني لا يسمّى إرهاباً.

التعريف الخامس: الإرهاب «هو: الأُسلوب أو الطريقة المستخدمة، والتي من طبيعتها إثارة الرعب، والفزع، بقصد الوصول إلى الهدف النهائي»[٣٠].

يُؤكّد هذا التعريف على عنصرين أساسيّين في تحديد مفهوم الإرهاب:

١ــ إن الإرهاب أُسلوب وطريقة يتّبعها الإرهابي في عمله الإجرامي، من طبيعتها إثارة الرعب في نفوس الناس، وليس الإرهاب فكرة عقديّة أو نظريّة علميّة فحسب.

٢ــ أن تكون ممارسة الأساليب المرعبة بقصد الوصول إلى هدف محدّد ومعلوم، وليس من الصحيح الإغماض عن طبيعة الهدف المقصود في معرفة وتحديد معنى الإرهاب، وهذا من أهم العناصر التعريفيّة بنظر طائفة كبيرة أُخرى من فقهاء القانون.

التعريف السادس: الإرهاب هو: «العمليات العنيفة المنسّقة، المادّيّة والمعنويّة، التي تحوي نوعاً من القهر؛ بُغية تحقيق غاية معيّنة»[٣١].

ما يُضيفه هذا التعريف هو: أن العنف المأخوذ في معنى الإرهاب يشمل العنف المادّي والمعنوي، ولنا أن نتصوّر السحر وتحضير الجن والتنويم المغناطيسي وأمثالها من جملة وسائل العنف المعنوي والروحي.

التعريف السابع: الإرهاب هو: «كل فعل يرمي إلى قلب الأوضاع القانونيّة أو الاقتصاديّة التي تقوم على أُسسها الدولة»[٣٢].

إن هذا التعريف يجعل البُعد الغائي في الفعل الإجرامي مقوّماً لتحديد معنى الإرهاب، فالإرهاب حركة انقلابيّة تسعى بالعنف لتغيير الدولة وقلب أوضاعها وشؤونها القانونيّة والاقتصاديّة، وهذا تحديد واضح لمعنى الإرهاب بأعمال العنف ذات الغايات والأهداف السياسيّة.

هذه هي أبرز التعريفات وأهمّها

فيما نعتقد، أوردناها لنستخلص منها أهمّ العناصر المختارة في معنى ومفهوم مفردة الإرهاب اصطلاحاً، وبالنحو التالي:

١ــ إن الإرهاب يمثّل طريقة وأُسلوباً ومنهجاً أيديولوجياً مخطّطاً له ومنظّماً ومستمرّاً وغير قانوني في ممارسة أعمال العنف والجريمة، بقيادة فرد أو جماعة أو حزب أو غير ذلك. «فالعنف في النشاط الإرهابي لا يمكن أن يُحدث أثره إلّا إذا كان مُنظّماً من خلال حملة إرهاب مستمرّة، أي: من خلال نشاط منسّق ومتّصل لعمليات أو مشروعات إرهابية تؤدّي إلى خلق حالة من الرعب، فالفعل الإرهابي نفسه لا يُخيف إلّا ما يُهدّد بأفعال أُخرى مستقبلية، وحتّى العشوائية في أعمال الإرهاب مقصودة في حدّ ذاتها؛ لكي تُعطي الانطباع بأنَّ كل إنسان في أيّ مكان معرّض لأن يكون الضحية التالية»[٣٣].

٢ـ أن تكون أعمال العنف والوسيلة المستخدمة ـ مادّية أو معنويّة ـ ذات طبيعة إجراميّة وخطيرة، من شأنها أو يُقصد بها نشر الرعب في المجتمع، وإثارة الفزع والخوف في نفوس الناس الآمنين المسالمين، وزعزعة الأمن والسلم الوطني والدّولي. ومن المتّفق عليه أن الرعب يُمثّل عنصراً أساسيّاً في تحديد حقيقة الإرهاب وتعريفه.

٣ـ إن من الإرهاب أيضاً (التهديد) بممارسة أعمال العنف والرعب والترويع.

٤ــ يُضاف إلى مسألة الرعب والترويع، عنصر إيذاء الناس والإضرار بهم وبأملاكهم العامّة والخاصّة، والاعتداء على حقوقهم وحريّاتهم، وتعريض الموارد الوطنيّة والدوليّة للخطر، وأيضاً تهديد الأمن والاستقرار والسلامة الوطنيّة والإقليمية، أو تهديد الوحدة السياسية والوطنيّة أو سيادة الدول المستقلّة.

٥ـ أن يكون الفاعل عالماً قاصداً متعمّداً لما يقوم به من أعمال إجراميّة منظّمة.

٦ــ أن يُشكّل استعمال تلك الوسيلة خطراً جماعيّاً ومجتمعيّاً، سواء

كان موجّهاً إلى دولة معيّنة بشعبها أو بحكومتها أو بأرضها ومواردها، أم كان موجّهاً إلى جماعة خاصّة من الناس، تجمعهم لغة أو دين أو طائفة أو عرق أو أمثال ذلك، ويُضاف إلى ذلك الشخصيات المرموقة ذات الحصانة السياسيّة أو الاجتماعيّة.

٧ــ إن هناك بُعداً غائياً في التعريف، له دوره المهمّ والمؤثّر في معرفة حقيقة الإرهاب وتحديد معناه، سواء كانت الغاية هي نفس إخافة الناس وإرعابهم، أم كانت هناك غايات سياسيّة معيّنة، أم كانت هناك غايات أُخرى اجتماعيّة أو دينيّة أو طائفية أو عنصريّة عرقيّة (نازيّة فاشيّة) أو غير ذلك.

هذه هي أهمّ عناصر الإرهاب في معناه الاصطلاحي المعاصر، وهو بهذه العناصر يُمثّل ظاهرة خطيرة ومستنكرة عقلاً ونقلاً، ويجب على العقلاء من البشر محاربتها والقضاء عليها. كما ينبغي الالتفات أيضاً إلى أن هذا المعنى الاصطلاحي للإرهاب يُعدّ مورداً وتطبيقاً من تطبيقات المعنى اللغوي كما هو واضح.

ثم إنه لا يخفى على القارئ الكريم بأن هناك جملة من المفردات الأُخرى التي قد تكون أسباباً فاعلة ومؤثرة، تُساهم بصورة مباشرة في تكوّن ونشوء ظاهرة الإرهاب، كمفاهيم التطرّف والتعصّب والكراهية ونحوها، أعرضنا عن بيانها وتعريفها في هذا المقال؛ لخروجها عن محلّ البحث، بالإضافة إلى أنّنا اكتفينا بما جاء في بحوث أُخرى قيّمة في مقالات هذا العدد، تعرّضت لمعاني هذه المفردات بشيء من التفصيل.

السياسة، الحكومة، الدولة

إن البحث في معاني ومضامين هذه المفردات الحيويّة والحساسّة يُعدّ هو الآخر من أهم الأبحاث الشائكة والمعقّدة والمحتدمة، التي وقع في تعريفها النزاع والاضطراب والتضارب والخلاف الشديد، وهذا أمر طبيعي ومعقول جدّاً؛ إذ كانت ولا زالت التطبيقات والمظاهر اليوميّة لمعاني هذه المفردات تُشكّل أهمّ مفاصل الحياة البشريّة، لكنّنا نكتفي في المقام

بالبيان الإجمالي وبما يرتبط بمحلّ البحث، من معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردات وبصورة موجزة:

السياسة

السياسة في اللغة: هي القيام على الشيء وتولّي أمره وإدامة تدبيره؛ لإصلاحه وتأديبه وترويضه. والسياسيّ: هو الذي يتولّى أُمور الناس ويرعاها، ويكون أميراً عليهم؛ ليواصل تدبير أُمورهم بالإصلاح والتأديب والأمر والنهي[٣٤]. و «الفرق بين السياسة والتدبير: أنّ السياسة في التدبير المستمرّ، ولا يُقال للتدبير الواحد: سياسة، فكلّ سياسة تدبير، وليس كلّ تدبير سياسة»[٣٥].

«وفي الحديث: (كان بنو إسرائيل يَسُوسُهم أَنبياؤهم). أَي: تتولّى أُمورَهم، كما يفعل الأُمَراء والوُلاة بالرَّعِيَّة»[٣٦]. وفي الحديث أيضاً: «ثم فوّض إلى النبي ﷺ أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده. كلّ ذلك من سُسْتُ الرعية سياسة: أمرتُها ونهيتُها»[٣٧].

وأمّا السياسة في اصطلاح الفقهاء والإسلاميين عموماً، فلا تبتعد كثيراً عن معناها اللغوي، فهي في نظرهم: (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل)، أو هي: (حياطة الرّعية بما يُصلحها لطفاً وعُنفاً)، أو هي: (ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد)، أو (أنّها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال)[٣٨]، وغيرها من التعريفات التي يُراعي الفقهاء فيها المعنى اللغوي للسياسة، كما هو واضح.

وأما السياسة في تعريفاتها المعاصرة: فقد اختلفت واضطربت معانيها بصورة لا يمكن الجمع والتوفيق بينها، لكنّنا نكتفي بهذا التعريف المتداول، وهو كون السياسة سُلطة تُعنى بـ (رعاية شؤون الدولة الداخليّة والخارجيّة)[٣٩]، وهو أيضاً مُقتبس من المعنى اللغوي لمفردة السياسة، ولكن في إطار الدّولة.

الحكومة

أصل الحكومة في اللغة: هو المنع من وقوع الفساد والظلم. «ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكِمٌ؛ لأَنّه يَمْنَعُ الظالم من الظلم. قال الأَصمعي: أصل الحكومة ردّ الرجل عن الظلم، قال: ومنه سُمّيت حَكَمَةُ اللجام؛ لأَنها تَرُدُّ الدابة. وحَكَمَ الشيء وأَحْكَمَه، كلاهما: منعه من الفساد»[٤٠].

وأما الحكومة في الاصطلاح المعاصر: فنختار من معترك التعاريف الاصطلاحيّة التعريف التالي: (الحكومة: هي الجهة التي تمتلك القوّة والسلطة الشرعيّة لفرض وتنفيذ الأحكام والقوانين؛ بهدف تنظيم الحياة المشتركة بين الأفراد، والحفاظ على الأمن والاستقرار والرفاهية في المجتمع)[٤١].

الدَّولة

الدَّوْلة ـ بالفتح ـ في اللغة: هي الانتقال إلى حالة الانتصار والغلبة على العدّو، وموردها «في الحرب أَن تُدال إِحدى الفئتين على الأُخرى، يُقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلة. والجمع الدُّوَلُ. والدُّولة ـ بالضم ـ في المال؛ يُقال: صار الفيء دُولة بينهم يَتَداوَلونه مَرَّة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولات ودُوَلٌ»[٤٢]. وجاء في الحديث: «ألا وإن للباطل جولة وللحقّ دولة»[٤٣].

وأما في الاصطلاح: فأوضح التعاريف وأخصرها، هو أن «الدولة: عبارة عن الشخصيّة المعنويّة التي ترمز إلى شعب ـ حُكّاماً ومحكومين ـ موحّد ومستقرّ على رقعة جغرافيّة مُعيّنة، بحيث يكون لها سلطة سياسيّة ذات سيادة»[٤٤].

إرهاب الدولة / السلطة (الإرهاب: الحكومي / السياسي)

لا نريد أن نتحدّث تحت هذا العنوان حول الإرهاب الدّولي، «وهو الإرهاب الذي تُمارسه دولة واحدة أو أكثر، عن طريق تسخير إمكانيّاتها الدبلوماسية أو العسكرية؛ لتحقيق هدف سياسي، أو الاستيلاء على مكتسبات أو ثروات غيرها من الدّول»[٤٥]. فإنّه على الرغم من

أهمّيتـه القصـوى وخطورتـه البالغـة وابتلاء عالمنا المعاصر بـه، خـارج عـن محلّ بحثنا.

وإنّمـا يخـتصّ بحثنـا بالسياسـات الدكتاتوريّـة غيـر الشـرعيّة، والأعمـال والممارسـات الإرهابيّـة والإجراميّـة والقمعيّة المنظّمة والشاملة والمدروسة، التي تُمارسها الدّولة والحكومة والسلطة بحقّ شعبها أو فئة خاصّة مـن الشـعب، علـى أسـاس التمييـز السياسـي أو الاجتمـاعي أو العرقـي أو الـديني أو الثقافي أو نحو ذلك، فتَعْمد إلى تسـليط أجهزتها ومنظمّاتها القمعيّة علـى أفـراد الشـعب الأعـزل؛ لتقـوم باسـتخدام الوسـائل الوحشـيّة وممارسـة ألـوان الجـرائم، والاعتقـالات التعسّـفيّة، والمحاكمـات غيـر العادلـة والخطـف والتغييـب فـي مطـامير السـجون، والتعـذيب والنفـي والتهجيـر والقتـل السياسـي، والإعـدامات العسـكريّة والاسـتخباراتيّة والأمنيّـة، ومصـادرة الحقوق الإنسانيّة الأساسيّة بالقوّة، كلّ ذلك وأمثاله يقع خـارج نطـاق الشـرعيّة الدسـتوريّة والقـانون والقضـاء العـادل، الـداخلي المحلّـي والخـارجي الأُممـي، تستهدف من ذلك نشر الخـوف والقلـق وإشـاعة الرعـب وعـدم الأمـان بـين المواطنين المدنيين؛ لإخضاعهم أمام الأغـراض والأهـداف السياسـيّة والأيديولوجيّة التي لا تتمكّن الدّولة من تحقيقها بالوسائل القانونيّة والمشروعة، مـن قبيـل حمايـة الطبقـة الحاكمـة، وإجبـار الشـعب علـى طاعـة الحكومـة والانصـياع لأوامرهـا، والقضـاء علـى الأصـوات والحركـات والأحـزاب المعارضة والمطالبة بـالتغيير، والانتقام منها، وضـمان اسـتمرار النظـام السـائد وسيطرته على مقاليد الحكم.

وقد يكون النظام الدكتاتوري قائماً علـى أسـاس سـلطة الفـرد الحـاكم أو العائلة الحاكمـة، كمـا قـد يكـون قائماً أيضاً على أساس عنصـري أو قـومي أو إثني ديني، ولعلّ الأخطر من ذلـك كلّـه فـي زماننـا الحاضـر دكتاتوريّـة الحـزب الواحـد، «فحزبيـة النظـام وعسـكرته يعنـي: أنَّ الحـزب الحـاكم هـو الحـزب الوحيـد فـي الدّولـة، ويُطلـق علـى هـذا النظام: دكتاتوريـة الحـزب، فهـو الـذي

يُسيّر أُمور الدّولة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والعســـكرية وكـــذلك الأمنيـة، وتعنـي حزبيـة النظـام أنَّـه لا يقبل بوجود معارضة سياسية له»[٤٦].

ويُعـدّ الإرهـاب الحكـومي مـن الجرائم الدّولية الخطيرة والمدمّرة فـي كافّـة الأبعـاد والأصـعدة الإنسـانيّة، والاجتماعيّـة والسياسـيّة، والاقتصاديّة والنفسـيّة، والأمنيّـة والدينيّـة وغيرهـا، وحينمـا نطـالع الجهـود الكبيـرة والمتواصلة التي بذلها ويبذلها الإنسان فـي القـرنين الأخيـرين، انطلاقـاً مـن المسـؤوليّة التـي يحملهـا تجـاه بيئتـه ومجتمعـه، نجـد أنّ هنـاك تحرّكـات ومسـاعي مسـتمرّة ومحـاولات جـادّة ومسؤولة لتحديـد وتعريـف هـذا القسـم الخطيـر مـن الإرهـاب، والسـعي لمحاربتـه وتحجيمـه والقضـاء عليـه، ونحـاول فيمـا يلـي وبإيجـاز اسـتعراض أهمّ التعريفات وأوضحها؛ للوقوف على خصـائص وأسـباب وآثـار وأهـداف الإرهـاب والعنـف الحكـومي، مـع الالتفـات إلـى أن الإرهـاب الحكـومي يُمثّل قسماً من أقسام مفهـوم الإرهـاب الكلّي الذي سبق تعريفه، فتنطبق عليه كافّة العناصر التـي سـبقت فـي تعريـف الإرهـاب؛ ومـن هنـا نحـن نبحـث فـي التعاريف التالية عن الحيثيات والعناصر الإضـافيّة الخاصّـة بهـذا النحـو مـن الإرهـاب، التـي تُميّـزه عـن الأقسـام الأُخرى، مع التنبيـه أيضاً علـى بعـض العناصر الماضية:

التعريـف الأوّل: مـا ورد فـي دائـرة المعـارف الحديثـة، مـن أن: «الإرهـاب من الوسـائل التـي يسـتخدمها الحكـم الاسـتبدادي؛ لإرغـام الجمـاهير علـى الخضوع والاستسلام لها، وذلـك بنشـر الذُّعر والفزع بينها»[٤٧]. وهـو وإن ذُكـر فيها كتعريف لعموم الإرهاب، لكنّه من الواضح مختـصّ بالإرهـاب الحكـومي، وقد تضمّن العناصر التعريفيّة التالية:

١ـ إن إرهاب الحكومة يُمثّل وسيلة من وسائل الحكم الاستبدادي.

٢ـ إن إرهاب الحكومة يمثّـل أيضاً وسيلة إجراميّة تنشر الذعر والفـزع بـين الجماهير.

٣ـ إن الغاية من ممارسة هذا النـوع

من الإرهاب هو إرغام الجماهير على الخضوع والاستسلام لنظام الحكومة الاستبدادية.

التعريف الثاني: ما ذكره الدكتور أدونيس العكرة، من كونه: «منهج نزاع عنيف، يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسي، أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة، من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامّة، أو من أجل تغييرها أو تدميرها»[٤٨]. وهو وإن جاء أيضاً كتعريف عامّ لمفردة الإرهاب، لكنّه الأقرب إلى قسم الإرهاب الحكومي، وقد تضمّن العناصر التالية:

١ـ إنه منهج وأُسلوب منظّم.

٢ـ إنه منهج عنيف يُوجب الرهبة في نفوس الناس.

٣ـ هدفه تغليب الرأي السياسي، وفرض السيطرة على المجتمع، ومفاصل الدّولة، بما يتوافق مع الرؤية السياسيّة التي يتبنّاها الفاعل لجريمة الإرهاب.

وهذه عناصر أساسيّة تتوافر عادة في الإرهاب الحكومي.

التعريف الثالث: إرهاب الدّولة المستبدّة هو: (الاستخدام المنتظم للعنف؛ لخلق مناخ عامّ من الخوف في مجموعة من السكّان، لتحقيق هدف سياسيّ معيّن، أو تثبيت سياسة معيّنة مرفوضة شعبيّاً)[٤٩]. يشترك هذا التعريف في عناصره مع ما سبقه من تعريف، وهي ممارسة العنف المنتظم، وإدخال الرهبة والخوف في نفوس الناس، وأنّ وراء ذلك أهدافاً سياسيّة. ولكن مع إضافة كون تلك الأهداف السياسية مرفوضة ومُستنكرة شعبيّاً.

التعريف الرابع: إرهاب السلطة الحاكمة هو: «انتشار أعمال العنف من جانب دولة ضدّ شعبها»[٥٠]. يتميّز هذا التعريف بالاختصار والإيجاز، مع فرض حيثيّة انتشار العنف ضدّ الشعب؛ ما يجعله ظاهرة مجتمعيّة متفشّية.

التعريف الخامس: إن إرهاب الدولة: «هو أعمال العنف الإجراميّة التي تُرتكب في حقّ المدنيين الأبرياء،

ويقوم بها أفراد أو أجهزة أو جماعات تنتسب إلى الكيان الرسمي للدّولة، أو تتمّ بمعرفة وموافقة السلطات العُليا التي تُشرف على هذه الأجهزة وتُصدر إليها الأوامر، أو تغضّ الطرف عن هذه الأفعال مع علمها بوجودها من حيث تبعية الجزء للكلّ، أو تُوفّر لها الحماية من أيِّ نوع»[٥١]. بالإضافة أيضاً إلى ما تضمّنه هذا التعريف من العناصر المشتركة مع التعاريف السابقة، وكون المجنيّ عليهم من المدنيين الأبرياء، تمّ التركيز على ذكر المنظّمات والأجهزة القمعيّة المختلفة التي تُباشر ممارسة الأفعال الإرهابيّة، كما هو مُفصّل في نصّ التعريف، ويجمعها حيثيّة ارتباطها بالسلطات العُليا الحاكمة، من جهة انتسابها إليها، أو الإشراف عليها، أو حمايتها ورعايتها، أو نحو ذلك.

التعريف السادس: الإرهاب الحكومي هو: ما «إذا قامت الدولة من خلال أجهزتها القمعيّة بانتهاكات بليغة لحقوق الإنسان، في التعذيب والقتل، وضرب الشعب بالأسلحة الكيماوية والصواريخ، والإخفاء القسري، والإعدامات، والتعذيب للبشر، وإهدار حقوق الإنسان المعروفة في الإعلان العالمي والمعاهدات الدّولية، وفي التحريض على العصيان أو دعم الأشخاص أو الجماعات، للقيام بتفجيرات ضدّ أهداف مُعيّنة، أو التدخّل في شؤون دولة أخرى، تُعتبر الدّولة ممارسة للإرهاب وراعية للعنف السياسي من خلال إشاعة الرعب والخوف ومصادرة الحريّات الأساسية»[٥٢]. بعد ذكر العناصر المشتركة، من قبيل ممارسة العنف وإشاعة الرعب والخوف بين الناس، أضاف التعريف المذكور العناصر التالية:

١ــ الاهتمام الخاصّ بتعداد الأفعال الإجراميّة التي قد تُمارسها السلطة القمعيّة ضدّ شعبها.

٢ـ إنّ من الإرهاب الحكومي إهدار حقوق الإنسان المعروفة في الإعلان العالمي والمعاهدات الدّولية.

٣ـ إنّ من الإرهاب الحكومي أيضاً مصادرة الحرّيات الأساسيّة للشعب.

التعريف السابع: إرهاب الدّولة عبارة عن: «تلك الأعمال الإرهابية التي تقودها الدّولة من خلال مجموع الأعمال والسياسات الحكومية التي تستهدف نشر الرعب بين المواطنين؛ لإخضاعهم داخلياً أو في الخارج، بهدف تحقيق الأهداف التي لا تستطيع الدّولة ولا تتمكّن من تحقيقها بالوسائل المشروعة»[٥٣]. أضاف هذا التعريف أيضاً عنصراً مهمّاً في تعريف إرهاب الدّولة، وهو أن من جملة الأسباب التي تدفع السلطات الحكوميّة لممارسة العنف بحقّ شعبها، هو أن لها أهدافاً وغايات لا تتمكّن من تحقيقها بالوسائل المشروعة.

التعريف الثامن: إرهاب الدولة هو: «الاستعمال غير الشرعي للقوّة والقمع اللذين تمارسهما دولة مّا، وذلك بحقّ بعض أو كلّ المواطنين، على أساس التمييز السياسي أو الاجتماعي أو العرقي أو الديني أو الثقافي»[٥٤]. أضاف هذا التعريف جملة من الأُسس التي قد يتمّ على أساسها التمييز بين مكوّنات الشعب، وممارسة القمع والقوّة غير الشرعيّة في حقّ مكوّن دون آخر.

التعريف التاسع: الإرهاب الحكومي هو: «الإرهاب الذي تُمارسه الدّول والأنظمة الحاكمة ضدّ رعاياها أو ضدّ المعارضين لها، من أحزاب وأفراد، والإرهاب في هذا القسم، يعني: تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم، كأن تعتقل مجموعة من الأبرياء وتُعذّبهم من أجل إخافة المعارضين الحقيقيّين الذين ربما لم ينكشفوا بعد»[٥٥]. أضاف هذا التعريف العناصر التالية:

١ـ قد يُقصد من ممارسة هذا النوع من الإرهاب تخويف المعارضة والكشف عن هويّتها؛ لإجبارها على طاعة الحكومة.

٢ـ يُحدّد هذا التعريف ما هو المقصود من عدم قانونيّة العنف الذي تمارسه الحكومة بحقّ شعبها، وأنه عبارة عن تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

التعريف العاشر: إرهاب الدّولة هو:

«عنف منظّم ومتّصل، بقصد خلق حالة من الرعب والتهديد العام الموجّه إلى المعارضة (جماعة سياسية)، والذي ترتكبه جماعة منظّمة أو حكومة أو نظام ضدّ شعبها بقصد تحقيق أهداف سياسية»[٥٦]. فكون العنف منظّماً ومتّصلاً ومستمرّاً من العناصر الأساسيّة في هذا التعريف.

وقد حدّدت منظمة العفو الدولية الرئيسية أشكال إرهاب الدولة بـ: «الاحتجاز التعسّفي، والمحاكمات غير العادلة، والتعذيب، والقتل السياسي أو الإعدام خارج نطاق القضاء»[٥٧].

بعد أن طالعنا طائفة من التعريفات المختصّة بالإرهاب الحكومي، نحاول فيما يلي أن نستخلص منها أهمّ العناصر التي تُحدّد طبيعة هذا القسم من الإرهاب:

١ـ إن الإرهاب الحكومي الاستبدادي يُمثّل منهجاً عنيفاً وأُسلوباً منظّماً، ووسيلة من الوسائل القمعيّة غير القانونيّة، تنشر الذعر والفزع بين أفراد الشعب.

٢ـ تُمارس الدّولة هذا النحو من الإرهاب بواسطة الأجهزة القمعيّة المرتبطة بها، إمّا من جهة انتسابها إليها، أو الإشراف عليها، أو حمايتها ورعايتها، أو نحو ذلك.

٣ـ إن الغاية من ممارسة هذا النوع من الإرهاب هو تغليب الرؤية السياسية الحاكمة، المرفوضة والمستنكرة شعبيّاً، والتي لا تتمكّن الحكومة من تحقيقها بالوسائل المشروعة. ومن الغايات أيضاً فرض السيطرة على المجتمع ومفاصل الدولة، وتخويف المعارضة وإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام للنظام الاستبدادي الحاكم.

٤ـ إن من جملة الأُسس التي قد يتمّ على أساسها التمييز بين مكوّنات الشعب، وممارسة القمع والقوّة غير الشرعيّة في حقّ مكوّن دون آخر، هي الأُسس السياسيّة أو الاجتماعيّة أو العرقيّة أو الدينيّة أو الثقافيّة.

٥ـ إن المراد من عدم قانونيّة العنف الذي تمارسه الحكومة بحقّ

شعبها، هو تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

ثم إن الإرهاب الحكومي قد يكون نابعاً من الشعور بالقوّة المفرطة للسلطة، أو الشعور بالخوف من المعارضين، أو الشعور الزائف بمشروعيّة ما تقوم به من العنف والقمع بحقّ شعبها، أو نحو ذلك.

ويُعدّ هذا القسم من الإرهاب هو الأخطر والأكثر تدميراً؛ للأسباب التالية:

١ــ إن السلطة القمعيّة تمتلك المبرّرات القانونيّة لممارسة إرهاب الدولة، بلا رقيب ولا مُساءلة من أحد، فتنطلق من مبدأ الحفاظ على هيبة الدولة والأمن والنظام العامّ، لتسحق تحت ظلّ القانون معارضيها وكلّ مَن يُخالفها الرأي بوحشية منقطعة النظير، كما حدث ذلك بأبشع صوره في عام١٩٩١م، حينما قمع النظام البعثي الجائر الشعب العراقي في الوسط والجنوب بعد ثورة ١٥ شعبان، في إبادة جماعيّة هي الأُولى من نوعها، إذ امتلأت السجون والمقابر الجماعية بجثث الملايين من الأبرياء، الذين ما خرجوا إلا للمطالبة بحقوقهم الإنسانيّة المشروعة التي حرمهم منها النظام البعثي البائد.

٢ــ سيطرة السلطة على مصادر القوّة ومنابع القدرة، وعلى كافة الإمكانيات المتاحة في داخل البلد وخارجه، وعلى النقيض من ذلك الشعب المضطهَد، فهو في الغالب أعزل ومجرّد من السلاح ومصادر القوّة؛ ولذا ينتشر في أوساطه القمع والاضطهاد والرعب بلا قيود أو حدود.

٣ــ سيطرة السلطة على وسائل الإعلام، وقدرتها على ممارسة التضليل الإعلامي بأبشع صوره، فترسم صورة مشرقة لإرهابها، وأُخرى قاتمة سوداء لمعارضيها.

وفي نهاية المطاف لهذه الدّراسة المفهوميّة نقول: إنّه ممّا لا شكّ فيه أن الشريعة الإسلاميّة قد استنكرت وحاربت بشدّة هذا اللون الأسود من

الإرهاب، بل نحن نعتقد بأن واحدة من أهم الأهداف الرئيسة لبعثة الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الشرائع السماويّة هو الوقوف بوجه السلطات الظالمة والمستبدّة، التي مارست بحقّ شعوبها أشكال القمع والجريمة والفساد، وجعلتهم عبيداً لها، يعيشون ذلّ العبوديّة القاسية، تفعل بهم ما تشاء، وتستغلّهم فيما تُريد، وتسومهم سوء العذاب والهوان، والاضطهاد والترويع، ومصادرة الأموال، وهتك الأعراض، والتشريد والتهجير، والقتل والإبادة بوحشية مروّعة، لا يُتقن صناعتها إلّا الطغاة والجبابرة من بني البشر.

ولولا الدور الريادي والجهادي للأنبياء والرسل والأوصياء والشرائع السماويّة المتعاقبة، لما كنّا ننعم اليوم بجانب من الحريّة والحياة الإنسانيّة. وهذا ما تؤكّده النصوص الدينيّة والآيات القرآنيّة المتضافرة، ولعلّ أبرز مثال قرآني على ما نقول، قصّة النبيّ موسى عليه السلام؛ عندما أرسله الله تعالى إلى فرعون حينما علا وطغى وعاث في الأرض فساداً، ومارس أعنف وأقسى أشكال الإرهاب الحكومي بحقّ شعبه المضطهد من بني إسرائيل، الذين كانوا يعيشون تحت وطأة سلطته القمعيّة الجائرة، وكان يخاطبهم بملء فمه قائلاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[٥٨]، فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه موسى عليه السلام بالقول: ﴿إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[٥٩]، وقد أوضحت الآيات القرآنيّة الكثيرة مشاهد الاستبداد والطغيان والقمع والجور الذي كان يُمارسه فرعون بحقّ طائفة مستضعفة من رعاياه، وهم بنو إسرائيل، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٦٠]. وأيضاً يقول تبارك وتعالى في مخاطبة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٦١].

وبعد أن جاء موسى عليه السلام بالبيّنات وأظهر الحجج والآيات الإلهيّة

الواضحة، مارس فرعون أيضاً الإرهاب والرعب مرّة أُخرى بوسائل معنويّة، وحاول أن يُخيف الناس ويردعهم عن الالتحاق بنبيّهم موسى عليه السلام عن طريق السحر، فانتدب لهذه المهمّة كبار السَّحَرة ومخضرميهم؛ ليُلقوا بعظيم سحرهم ومكرهم أمام الملأ العامّ، ﴿قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[٦٢]، وحينما تجلّت الحقيقة للناس، وآمن السّحَرة بإله موسى عليه السلام، استمرّ فرعون بممارسة أساليبه القمعيّة، واستنكر على السَّحَرة إيمانهم بالله تعالى من دون أن يأذن لهم، وهدّدهم وتوعّدهم بأقسى أنواع العذاب والتنكيل، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٦٣]. ومما يؤسَف له أنّ كبار السياسيين وذوي الوجاهة الاجتماعيّة آنذاك كانوا من المؤيّدين والراضين بسياسة الإرهاب الفرعونيّة، بل كانوا من أشدّ المحرّضين على قمع الأبرياء من بني إسرائيل، يحكي ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[٦٤]. ولهذا كان موسى عليه السلام دائماً ما يُذكّر بني إسرائيل بواقعهم المرير الذي كانوا يعيشونه في حكم فرعون، يُذكّرهم بذلك حينما كانوا يكفرون بأنعُم الله وفضله عليهم،

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٦٥].

والآيات الكريمة في هذا المجال كثيرة جدّاً، لا يسع المجال لذكرها، وأمّا النصوص التاريخيّة والروائيّة في المقام، فهي فوق حدّ الإحصاء، وسنكتفي منها لاحقاً باستعراض النصوص والخطابات والمواقف الحسينيّة المباركة المرتبطة بمحلّ البحث، والتي صدرت من الإمام الحسين عليه السلام حينما تصدّى لأخطر وأعتى حكومة إرهابية مستبدّة، مارست

ألوان العنف وإرهاب السلطة بحقّ المسلمين والمواطنين في بلاد الإسلام عموماً، تلك هي الحكومة الأُمويّة الجائرة. وكيف لا تكون مواقف وكلمات الحسين عليه السلام منهجنا القويم في مواجهة إرهاب الحكومات الظالمة؟! وهو القائل لمعاوية بن أبي سفيان ـ بكلّ شجاعة وبسالة منقطعة النظير ـ: «واعلم أنّ لله كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، وليس الله بناسٍ لك أخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة، وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ولا أعلمك إلَّا خسرت نفسك، وأوبقت دينك، وأكلت أمانتك، وغششت رعيّتك، وتبوّأت مقعدك من النار، فبُعداً للقوم الظَّالمين»[٦٦] وهذا ما سنترك تفصيل الكلام فيه لمقال العدد اللّاحق ـ بإذن الله تعالى ـ حيث سنخصّصه لكلمات وخطابات الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة ومعارضة ما عايشه من إرهاب حكوميّ أُمويّ جائر.

الهوامش

[١] نعتقد بأن الإنسان ـ في تعاطيه مع مجتمعه ـ كائن مُعقّد، متشكّل ومتضادّ في طباعه، فهو مُستخدم ومدني بالطبع، وهو محبّ ومُبغض بالطبع، رؤوف رحيم وشديد عنيف بالطبع، وهكذا. وهو بحث مفصّل موكول إلى علم النفس الاجتماعي (soc'al psychology).

[٢] ابن منظور، لسان العرب: ج١، ص٤٣٦ـ٤٣٧.

[٣] الزبيدي، تاج العروس: ج٢، ص٤٣.

[٤] الزمخشري، أساس البلاغة: ص٣٨٥.

[٥] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص٣٦٦.

[٦] أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية: ص٢٢٦.

[٧] المصدر السابق: ص٤٠٤.

[٨] المصدر السابق: ص٢٦١.

[٩] مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٤، ص٢٤١.

[١٠] البقرة: آية ٤٠.

[١١] الأعراف: آية ١٥٤.

[١٢] الأنفال: آية ٦٠.

[١٣] الأعراف: آية ١١٦.

[١٤] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٢٨١.

[١٥] المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٦٠.

[١٦] الماوردي، الأحكام السلطانيّة: ص٣٤٧.

[١٧] أُنظر: الصنعاني، الأمير محمد بن إسماعيل،

سبل السلام: ج٣، ص١٤٣. وأيضاً: الشوكاني، نيل الأوطار: ج٦، ص٣٦٣.

[١٨] أُنظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ص٨٣ ـ ٩٣.

[١٩] أُنظر: الطوسي، الخلاف: ج٤، ص٢٠٤. وأيضاً: النووي، المجموع: ج١٥، ص٤٩٧. والسرخسي، المبسوط: ج١٠، ص١٩. والكاشاني، أبو بكر، بدائع الصنائع: ج٧، ص١٢٦.

[٢٠] الأنفال: آية ٦٠.

[٢١] الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرّار: ج٤، ص١٢٤.

[٢٢] شرايرية، نادية، إشكاليّة تعريف الإرهاب في القانون الدولي: مجلّة التواصل في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد: ٣٤، ص١٥٤.

[٢٣] المصدر السابق.

[٢٤] د. منذر الفضل، دراسات حول القضيّة الكرديّة ومستقبل العراق: ص٢٠٠.

[٢٥] أُنظر: كمال مساعد، مقال على جريدة البناء، العدد: ١٨٣٦، تاريخ: ٢١ /٢٠١٥/٠٧، بعنوان: كتاب «تعريف الإرهاب ـ نهاية المعايير المزدوجة» للسفيرة عبير رياض طه.

[٢٦] أُنظر: د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٥.

[٢٧] أُنظر: نعمة علي حسين، مشكلة الإرهاب الدولي (دراسة قانونيّة): ص٣٣.

[٢٨] أُنظر: جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، معاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي لمكافحة الإرهاب الدولي، اعتُمدت من قِبَل مؤتمر وزراء خارجية دول المنظمة، المنعقد في أواغادوغو، خلال الفترة من ٢٨ حزيران/ يونيو إلى ١ تموز/يوليو ١٩٩٩.

[٢٩] أُنظر: وداد جابر غازي، (الإرهاب وأثره على العرب)، مجلّة العرب والمستقبل، جامعة المستنصريّة: السنة الثانية آيار ٢٠٠٤، ص٥٥.

[٣٠] د. إمام حسانين عطا الله، الإرهاب البنيان القانوني للجريمة: ص١٢٣.

[٣١] د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٦.

[٣٢] أُنظر: عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي (دراسة تحليلية): ص٢٦.

[٣٣] خورشيد عليكا، مقال بعنوان: إرهاب الدولة المنظّم، شبكة الأنترنت، موقع (مدارات كرد).

[٣٤] أُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص١٠٨.

[٣٥] أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية: ص٢٨٨.

[٣٦] ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص١٠٨.

[٣٧] الطريحي، مجمع البحرين: ج٤، ص٧٨.

[٣٨] أُنظر: محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص٣٠٨.

[٣٩] أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (سياسة).

[٤٠] ابن منظور، لسان العرب: ج١٢، ص١٤١ـ١٤٣.

[٤١] أُنظر: مقال بعنوان: (تعريف الحكومة وأنواعها)، شبكة الأنترنت، موقع (السياسة كوم).

[٤٢] ابن منظور، لسان العرب: ج١١، ص٢٥٢.

[٤٣] الحافظ البرسي، مشارق أنوار اليقين:

ص٢٦١.

[٤٤] أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (الدولة).

[٤٥] المرصد العربي للتطرّف والإرهاب، شبكة الأنترنت.

[٤٦] حسين عوض، مقال بعنوان (إرهاب الدولة بين حزبية النظام وعسكرته)، شبكة الأنترنت، موقع الحوار المتمدّن.

[٤٧] أُنظر: د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٦.

[٤٨] العكرة، أدونيس، الإرهاب السياسي، بحث في أُصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية: ص٩٣.

[٤٩] أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (إرهاب الدولة).

[٥٠] المصدر السابق.

[٥١] د. أحمد محمد المزعنن، مقال بعنوان (إرهاب الدولة والجريمة المنظمة)، شبكة الأنترنت، المركز الفلسطيني للإعلام.

[٥٢] د. منذر الفضل، دراسات حول القضيّة الكرديّة ومستقبل العراق: ص٢٠٢.

[٥٣] عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي (دراسة تحليلية): ص١٧٤.

[٥٤] أُنظر: كمال مساعد، مقال على جريدة البناء، العدد: ١٨٣٦، تاريخ: ٢١ /٢٠١٥/٠٧، بعنوان: كتاب «تعريف الإرهاب ـ نهاية المعايير المزدوجة» للسفيرة عبير رياض طه.

[٥٥] أُنظر: السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدوليّة: ص١٥٨.

[٥٦] عزّ الدين، أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي: ص٤٩.

[٥٧] أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (إرهاب الدولة).

[٥٨] القصص: آية٣٨.

[٥٩] طه: آية٢٤.

[٦٠] القصص: آية٤.

[٦١] البقرة: آية٥١.

[٦٢] الأعراف: آية١١٧.

[٦٣] الأعراف: آية١٢٣.

[٦٤] الأعراف: آية١٢٧.

[٦٥] إبراهيم: آية٦.

[٦٦] البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٢.